

أمل دنقل

الفصحى الشريفة العربية الكريمة



www.egyptsons.com

أهل دنقل

الأهمل السيرة الطويلة

مكتبة مدبولي

القاهرة

مقدمة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل . . أحاديث وذكريات »

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٨٧ هـ - ١٤٠٧ م

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لإعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير يتعذب ويتساقط قطرة قطرة ونبضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انشب أظافره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للإنسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - ألاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها المتأخر قد هز المشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء الشاعر ومحبيه أفقدهم القدرة على الكتابة الشعرية أو الثرية على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل واحد الذين رافقوه وقرأوه عن قرب ، فقد أفقدني النبأ المتوقع القدرة على التفكير والقدرة على الإمساك بخيوط التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت باسترجاع بعض الأحاديث والتقاط صور بعض الذكريات الغارقة في قاع الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت الشاعر الراحل في أواخر الستينات وقبل أن يظهر ديوانه الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا - منذ أول لقاء - مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة وزاد تقديري له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر - كثيرة وحاضرة بكل وقائعها ورموزها فإنني سأحاول اختيار أقلها

وأقربها إلى الوجدان العام - ولأن النهاية دائماً هي الأقرب وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا تمحى فلنأخذ سنبدأ من النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال : ذهبت إلى المستشفى الذي يرقد فيه الصديق المشترك أمل دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، فتحت الباب ونظرت داخل الغرفة باحثاً عن أمل الذي ودعته منذ خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن أغلقت الباب ورأيت وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة لأسأله عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوانب الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن أمل عرفني فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذا الذي تعرض له الشاعر ؟ هكذا سألت نفسي وأنا أتوجه نحو السرير الذي يرقد عليه ، وكنت قد قررت أن أتمالك وأن لا يبدو على وجهي أي تأثر أو انفعال يثير في نفسه ، ، الألم ، الأأنني ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بابتسامة عريضة ثم سألني : لماذا تبكي ؟ اتخاف علي من الموت إنها منيتي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء .. وواصل ابتسامته المنكسرة ، ولأحظت أن قدراً كبيراً من الشجاعة ظل يشع من ملامح وجهه الغائر ..

ومضيت مع الصديق نتجاذب أطراف الحديث وتذكر أمل دنقل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة القهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنقل قبل أن تشتد عليه وطأة المرض القاتل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفقرة التالية من الحديث : لقد كنت في

القاهرة منذ سبع سنوات ، رايت خلالها أمل دنقل أكثر من مرة وذات يوم رأيته كالعادة يذرع الطرقات بحثاً عن صديق يدفع له ثمن الغداء . وعندما رأيته توجه نحوي قائلاً : نصف جنيه ، نصف جنيه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبي وأخرجت خمسمائة جنيه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنقل من تصرفي غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراقك يا أخي فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لتسعدني يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا سز شعرة في جفني ، ولا يخفف ألم دقيقة واحدة من عذابي الطويل المرير !!

أطياف ذكرى :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين التقيت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي ، وكانت علاقته بالآخر وتأثره بشعره أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرف فيها على أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر التصاقاً بحجازي وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصير له أسلوبه الخاص وحياته المطلقة التي زادت الظروف في تعقيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطاف الحقيقية نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما عيس بعقريّة الشاعر من قريب فقد كرست المآسي العظيمة الشعراء العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرست أهم شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ، وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت خطواته على طريق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دراوينه (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحذيره عن مجرد التلفظ بها حتى لا يناله الأذى ، لكنه لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من ملتقى أخوي . . وفي ماتبقى من عام ٦٧ وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذيع ، فقد ارتبطت بالجرح القومي الأكبر ، وكانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنترة (الشعب العربي) الذي تركه الحكام في صحراء الإهمال يسوق النوق إلى المرعى ويحتلب الأغنام ويحتر أحلام الخصيان حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستصرخون فيه روح الحمية ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضأة بالمرات والوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت الأدب الحزيراني من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

يحاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
القادم من الخارج ، أدب مجالدة وتحداً لا أدب استسلام
ولطم حدود وبكاء عاجز على اللين المراق في صيف
التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
أن يثبت بالدليل القاطع غيابه التام عن المعركة التي دارت
بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
العدو الذي لا يشك في خطره وغطرسته وتنامي أطماعه :
أيها النبوة المقدسة .

لا تسكتي .. فقد سكوت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي « أخرس .. »

فخرست .. وعميت .. واثمتت بالخصيان

ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان

اجتز صوفها ..

أرد نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان ..

ساعة أن تحاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان .

دعيت للميدان

أنا الذي ما ذقت لحم الضان ..

أنا الذي لا حول لي أو شان ..

أنا الذي اقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى إلى الموت .. ولم أدع إلى المجالسة ..

تكلمي أيها النبوة المقدسة ..

تكلمي .. تكلمي ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظميء .. يطلب المزيد ..

أسائل الصمت الذي يخنقني .

« ما للجمال مشيها وثيدا .. !؟ »

أجندلاً يحملن أم حديدا ١٩٠٠!

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار
العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند
حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة
الخامس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة
ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة
يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول
مصر - خولة - الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من
- أريحا - بعد أن ذبحوا شقيقها :

«سا.إني كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة .. كالقطة

تصيح (كافوراه .. كافوراه)

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تجلد كي تصيح (واروماه .. واروماه ..)
.. لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن .. ! »

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً
مداها في محاولته الجريئة فضح القيادة العسكرية المهلهلة ،
وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما
يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً
وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية
التأريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء القصيدة
الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللصق واللزق)
حيث يظل أسلوب التضمين سطحيًا وناشراً عن السياق
الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في
دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وثيدا) ولتر الآن
كيف ومتى ولماذا ، جاء بأبيات المتنبي في آخر قصيدته
الغاضبة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأيي من
معالم شعر ما بعد حزيران :

تسألني جاريتي ان اكثري للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع
فقلت : هذا سيفي القاطع
ضعيه خلف الباب .. متراسا
(ما حاجتي للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

بما مضى ؟ أم لأرضي فيك تهويد ؟
(نامت نواطير مصر) عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
ناديت يا نيل هل تجري المياه دما
لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

لقد حقق أمل دنقل بقصائده الجريئة عن النكسة
وآثارها شهرة واسعة ، وتحقق له من النجاح في عام واحد

ما لم يتحقق له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته
الشعرية السابقة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً
وشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما
يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح
إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اختياره الطريق النبيل
والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير
النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون
يتحدثون عنها في القصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما
يتحدثون عن فتران التجارب وأرانب المعامل ولكن دون
إحساس حقيقي بما تعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر
كبير كأمل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على
شيء وقد ساعدته عفويته المنطلقة وطبيعته غير المنضبطة
على الاحتفاظ بنقائه وتمرده ..

أطياف حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

حياة العرب المعاصرين وشوهت معالم الأيام العربية ،
 رحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح
 كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف
 الفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين
 يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية
 لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة
 الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد
 يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأبيني ،
 وكنت قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد
 اختار مكاناً قصياً في الاستراحة وجيداً وبعيداً عن
 الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، يكثر من التدخين وكأنه
 يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف
 كأنما يحاول اختراقه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين
 لعله يعاني من حالة شعرية وربما كان متوحداً لأن قصيدة
 الرثاء لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد
 حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً ليلدد شحنة الغضب ثم
 يعود إلينا ليملأ المكان بملاحظاته وضحكاته (وقشاته)

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب يقول : إن أمل
 يعاني من حالة حزن حقيقي لغياب عبدالناصر ، فقد كان
 الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة
 الشعرية منها خاصة . واستقر الحديث بعد أن جال وتنقل
 في ميادين شتى حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع
 الأدباء بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين
 وينحسب ذلك التعامل على الأدباء الملتزمين أو
 المتسيبين . وقد نال الشعراء بخاسة طوال عهده حظوة
 كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة
 بمصادرة أعمالهم الأدبية أو يمنعهم عن النشر والسفر ، ولم
 يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة اياً من
 شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث
 ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع
 البياتي ، ومع الفيتوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل
 هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر
 بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد موافقهم ، كما

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة
عبد الناصر بعض المتشاعرين الذين حاولوا من منطلق
المنافسة غير المتكافئة الاساءة والتشويه المتعمد لأدوار
ومواقف بعض الشعراء خارج مصر مما اضطر عبد الناصر
نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية
للشعر والشعراء .

كان عبد الناصر - إذن - بحسه الثوري يدرك أن
الشاعر الحقيقي في مصر أو في بقية الاقطار العربية يشكل
طاقة حدى واكتشاف خلاقه فالشاعر ليس كزرقاء اليمامة
ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين
بصيرته الشعرية ويتنبأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في
مصر قصائد تنبأت بالنكسة ونهت إلى ما حدث قبل أن
يحدث ، ونشرت الأهرام في ما تذكر قصيدة للشاعر محمد
إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة
(نحن غزاة مدينتنا) وكأنما كانت تقرأ ما سوف يحدث في
صحائف مكتوبة من قبل .

... لا يدرون
أن كل واحد من الماشين
... صلاح الدين .

كان الليل داكناً مكتئباً حين رجعتنا من حفل
الذين ، وكانت الأصواء الصفراء في الميادين والطرق قد
تأصفرأ وشحوباً . وكان زميلنا الذي يقود سيارته
والسموع تملأ عينيه يردد القسم الذي أطلقه أمل دنقل ،
وكان مثله يحلم بعودة سيناء ويسقط النجمة السادسة من
قرب حائط المبكى إلى التراب ...

« امل دنقل وانشودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحضوره فيضحك ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذا جاز أنه كذلك ، يعتبره تحية كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبذلات الأنيقة والسيارات الفارهة . كان واحداً من موكب جليل للشعراء الصعاليك المعاصرين الذين يرغبون عن عالم المغريات المختلف وأن يظلوا خفافاً نظافاً لا تأسروهم زينة الحياة الدنيا ولا تشدهم إلا بمقدار ما تمكنهم معطيائها الصغيرة من الكتابة والابداع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية الاقطار العربية أن الشعراء الحقيقيين لم يرتفع بهم شعرهم أو بالأصح لم ينخفض بهم إلى مستوى البذخ المادي والترف الحياتي ، وقد أثبت الشعر على مر العصور بما في ذلك عصر الحديث أنه كفيلاً بأن لا يلحق أسرار العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الزاهدة والقلوب البريئة من التطلعات المريضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات شعراء الحقيقيين جيلاً بعد جيل فلم تطوح بهم الرغبات الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سرايب مضاء تصرفهم عن الشعر وتصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك فهو استثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن امل دنقل هي صورة الشاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على تقاليد الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر ، وقد سمعت من يحاول أن يقارن بينه وبين الشاعر المرحوم

عبد الحميد الديب الذي هزت أخبار بؤسه الثلاثينات والأربعينات وحفلت المقاهي والمستديبات في تلك الفترة بأحاديث بؤسه وبمطارحاته وإهاجيه المتنوعة ، إلا أن الفارق بين الشاعرين كبير والفارق بين الصعلكتين أكبر ، صحيح أن البؤس الذي عانى منه الشاعران كلاهما متشابه ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس الأول ذاتي وناتج عن نهم شديد إلى الحياة في حين أن بؤس الآخر عام وناتج عن زهد في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأبواب الواسعة إلى النعيم كما وجدها الثاني لما تردد عن دخولها غير هيب ولا متحرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين الشاعرين من تباين واختلاف وفضلاً عن هذا وذاك فإن أمل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبد الحميد الديب والمهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم المراحل السابقة كلها .

لقد انفق أمل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

سجن - كما فعل عبد الحميد الديب تماماً لكن أحاديث سجنه اختلفت والقصد من إرتياد المقهى اختلف أيضاً ، القضية التي تؤرق أمل دنقل ما كانت لتخطر على ذهن عبد الحميد الديب ، وإذا كانت قد خطرت على ذهنه فبقدر تفسير من الغموض ، وإذا كنت قد أشرت في ما سبق من حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حافلاً بالذكريات التي تنوأك من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها بروزاً ووضوحاً صورة أمل دنقل في بيته أو بالأصح في إحدى الشقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في ميدان العجوزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع زميله الصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرتهما في هذه الشقة عشرات المرات رافقي في معظم تلك الزيارات الصديق الشاعر محمد الشرفي أثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد اعتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة كنا نرى أمل دنقل إما نائماً أو مشغولاً باعداد طعام الغداء

مع زميله ، وكنا نقضي فترة انتظارهما للطعام في حديث
عن الشعر والأدب وفي قراءة بعض القصائد وكان الغداء
متواضعاً في كل يوم ولا يزيد عن البطاطس وأرغفة الخبز
وبعض الأوراق الخضراء . وكثيراً ما امضينا الساعات
الطويلة بعد أن يتناول الشاعران البائسان غداءهما أو
عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كنا نتوجه
إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق محمد الشرفي لقضاء
سهرة أدبية لا تقتصر على أمل وزميله ، إذ غالباً ما ينضم
إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرها
من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي
بأحاديث الفكر والأدب وبروائع الشعر ، ولعل الفترة التي
قضاها أمل دنقل في شقة ميدان العجوزة أسوأ فترات
حياته وأحفلها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال
به ويؤلمه الشاعر حسن توفيق إلى أن يتبادلا ارتداء قميص
واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج
أحدهما انتظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

بالرغم من ذلك الحال وربما بسببه فقد كانت تلك
السنوات هي أخطر وأهم سنوات الانتاج الشعري وأهم
سنوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل
أهم قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة قفزت به من بين
شعراء الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصبور وأحمد
عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين
شاعريين الكبارين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة
الحجرية) حدثاً في تأريخ الشعر السياسي في مصر وفي
شعر العربي بأجمعه ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب
بمصادماتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م
بمنها هذا المقطع الذي يخاطب الشاعر فيه مصر التي
وتعشت يومئذ من خلال مظاهرات الطلاب وتلمل
الشعب :

اذكريني !!

فقد لوثنني العناوين

في الصحف الخائنة

لوثنني لأنني منذ الهزيمة لا لون لي

غير لون الضياء

قبلها كنت أقرأ في صفحة الرمل

والرمل أصبح كالعملة الصعبة

الرمل أصبح أبسطه تحت اقدام جيش الدفاع !

فاذكريني ، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي ..

وكاب العقيد ... وزينة رأس السنة

اذكريني إذا نسيته شهود العيان

ومضبطة البرلمان

وقائمة التهم المعلنة

الوداع !

الوداع !

..

(من ديوان العهد الآتي) .

أنشودة البساطة :

كان أمل دنقل شاعر البساطة في زمن التعقيد

والغموض ، وأول ما يلفت الانتباه في قصائده البساطة

الحادة المصقولة التي تتحول إلى أنشودة مفرطة التواضع

« وأنشودة البساطة » تعبير حديث أطلقه بين شباب الكتاب

الشعراء الكاتب الفنان يحيى حقي ، والبساطة عند ذلك

الشيخ الوقور - كما فهمها جيل أمل دنقل - لا تعني التمرد

عن قواعد اللغوية أو الخروج على الأسس الفنية للكتابة ،

ولا تعني الرقة والتبسيط ، إنما تعني تلقائية تناول أو عفوية

التعبير ، والابتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ،

وتحويل العمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نفر

قليل من الكتاب .. إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن

ووجدان . ومن السهل جداً أن يتبع المتلقي فضلاً عن

الدارس تجربة أمل دنقل الشعرية وأن يتبين ملامح القراءة

في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه

ومن الشعراء الذين سبقوه وقد ظلت تجربته متميزة منذ

البداية الصحيحة إلى أن توقفت مع الوفاة . وكانت

بساطته في تناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني

الفرار من المحيط المباشر للواقع ، ولا تعني الفرار من

مواجهة العذاب الانساني والحرب والدمار والتشويه ،

وهذا الموقف جعله لا يقيم كبير وزن لما يسمى بالالفاظ

الشعرية : أو بالمضاني المعقدة ، وهو في نثره القليل الذي تضمنته مقابلاته المنشورة في الصحف والمجلات لا يكف عن الهجوم السافر الجاد على كثير من شعراء القصيدة « المتجاوزة » وهو يرى أن معظم التجاوز يقف عند دائرة اللغة وحدها وعند الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك الصنع لا يزيد عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة الواقع « ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تغيير هذا الواقع قد أدى به إلى أنواع من استجلاب وسائل فنية في ظل حضارة مختلفة ومحاولة فرضها على المجتمع الثقافي - العربي ، ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقفين ، في حين أن وظيفته الأساسية هي في ارتباطه بالناس . وقد كان انتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه بالناس ، وتحياوهم بالتالي معه ، وتخليهم عن الشكل القديم . . وما يؤدي إليه هذا التجاوز الحديث عن المطلقات . . ومن هنا فإن هذا التجاوز للواقع يحتاج إلى تجاوز للطرائق الفنية التي يتم بها التعبير عن هذا الواقع ، واستحداث طرائق بديلة واستجلاب لمذاهب فنية ، أو

جاء إلى الايهام بمحاولة تغيير الواقع أو الايهام بالثورة عن طريق ثورة شكلية فقط . . الشعر لا يلقي أسراراً عميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الواجدة وفي قلوب البرية من التطلعات المريضة « أي تكون الثورة على مستوى الشكل فقط .
» ندوة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد الأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو الصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من احزان أمة كبيرة أسيرة اخطبوط خطير هائل من المعاناة والمشاكل ولا بد من أن تحس بالخطر الذي يتهدها ، ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات قاموسية مجردة عن أي معنى أو إلى معان مطلقة تسعى إلى تخدير الوعي وامانة الحواس بدلاً من ايقاظها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن يتخلى الشاعر عن

الوقوف في دائرة الأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من القوالب الميتة أو التي يراها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع في ما هو أخطر من هذه القوالب كالشكلية وتزييف الواقع ، تلك هي بساطة أمل دنقل التي جعلت من شعره صوتاً عميقاً وبسيطاً ، ومن المهم قبل ذلك وبعد ذلك أن نعلم أنه هو نفسه قد كان انشودة من البساطة والتواضع .

تمجيد التمرد في زمن الخنوع :

قضية الاساءة إلى الشعراء وتكفيرهم ومحاولة الانتقام من كبارهم تحت مختلف الادعاءات ، قضية شغلت الجانب الأكبر من تاريخ الشعر العربي ، ولم يسلم في الماضي من تهمة الزندقة والاحاد سوى صغار الشعراء ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء . وقد شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقيت منذ وقت قصير رسالة من باحث صديق تشغله القضية وبعد عنها رسالة دكتوراه ، يعكف عليها منذ خمسة أعوام . وقد لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

على الأسباب الكامنة وراء محنة الشعراء ولماذا الشعراء ماتوا ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القائل على النزاهة والصراحة - وهو يكتب الشعر - رأى أن كثير من التهم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة في الوقت ذاته نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب المذاهب والمتكلمين ولكنها كانت مع الشعراء - عبر العصور - أكثر حدة فلم تذيب التهم الكبيرة فيلسوفاً وإنما ذهبت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا هذا هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتور . عن الاجابة عليه وهو يتلمسه عند عدد من الشعراء الأحياء وعند بعض الأدباء الذين توارقهم المحنة التي انسحبت إلى عصرنا من سلبات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكريات محنة صديقي الشاعر أمل دنقل فقد عانى بالإضافة إلى محنة الفقر والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير نعم محنة التكفير ، وكانت قصيدته « كلمات سبارتاكوس »

الأخيرة « واحدة من القصائد التي وضعها زعماء محاكم التفتيش » على مشرحة التكفير ، والقصيد تدعو إلى التمرد ضد الطغيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة بانسانية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر اثارة يقول :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال (لا) .. فلم يمِت ،

وظل روحاً أبدية الألم !

المجد هنا ، ليس للشيطان (ابليس) ولكنه للشيطان (سبارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر) وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه الأبدية الألم تزرع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد فهم صغار العقول في

عدم التفتيش المعاصرة أن الشاعر يمجّد ابليس وأنه بذلك تكفر ، وأن دمه قد صار حلالاً . وقد حاول صغار العقول هؤلاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل الحق والعقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر البراسعة الأرجاء ، وظلت تتردد همساً في دهاليز الكراهية إلى أن رحل الشاعر عن عالم الحقد والطغيان وأخذ الله إلى حوارهِ الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع الإسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الغفيرة وهي تسير في الشوارع غنية الظهور مثقلة الأعناق كقطيع الأغنام ؛ لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائدة والشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المعروفة (١٩٠٩٩) تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حتى وإن كانت العقاب لا تختلف كثيراً عن عقاب ذلك الثائر المعلق في مشنقة على مدخل المدينة الظالمة :

معلق أنا على مشائق الصباح

وجبهتي - بالموت - مخنية

لأنني لم أحنها .. حية

.....

يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقي

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تتجملوا .. ولترفعوا عيونكم إلي

لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق القيصر ..

فلترفعوا عيونكم إلي

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عيني

يتسم الفناء داخلي ..

لأنكم رفعتم رأسكم مرة .

وبعد أن ظهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر
الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار ربه الغفور
الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

نتيش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل
ولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين
نب قتل المواهب ؟ كان الشاعر متهاً منذ كان متنب
نبيلة وصوت احزانها ، ورجال الدين يتهمون بالتجديف
الحاد .. ورجال السلطة يتهمون بالخروج على النظام
طيم الاستقرار الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقيقي
العصر الحديث أن التهم القديمة لم تتغير ولم تتطور
برات العصر وتطوراته .. في مواجهة جدار اليأس
حباط

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما نفق كل العمر .. كي تثقب ثغره

ليمر النور للأجيال مره !

.....

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق .. !

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري المحكوم عليه بحمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم يعود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي معنى لحياته التافهة المكرورة إن خلت من هذا العذاب المظني الرتيب . وأي عذاب للإنسان بدون هذا الجدار الذي يحاول بجهده الإنساني أن يفتح عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل والأجمل والأنقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل دنقل قد ظل يحفر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق شلال للنور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر والطرق على وجه الجدار الواقف في وجه الشروق إلى أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير المعقول أن تظل الأرض العربية تنزف دماً . وان يظل ابناؤها هكذا حيارى يفترسهم الارهاب وتتقاذفهم الهموم إلى نهاية العالم .

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير افتتاحية لديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ولاختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة الديوان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص بمرارة خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجه الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد النور ويمنع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس منذ البداية الشعور البائس المحبط ، ولكنها في الوقت ذاته تكشف عن استعداد شجاع وجريء لمواجهة هذا الجدار ومحاولة التغلب عليه ، وكأني بالشاعر في بداية حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع المسافة لكن تفاؤل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر بالزهو لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ، فأى معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة ، حتى

أخيراً أي شعور حزين يعت
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش
وللوطن . وأي احساس فاجع ؛
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثاء
ابناء هذا الوطن ولأروع ما
ونقاء

الدكتور عبا

مقتل القمر

الاهداء

إلى الاسكندرية
سنوات الصبا !

حسُّ حَيَالِ عَيْنِكَ
 شَيْءٌ دَاخِلِي يَبْكِي
 أَحْسَ خَطِيئَةَ الْمَاضِي تَعَرَّتْ بَيْنَ كَفْيِكَ
 وَعَنْقُوداً مِنَ التَّفَاحِ فِي عَيْنَيْنِ خَضِرَاوِيَيْنِ
 أَلَسَى رَحْلَةَ الْأَثَامِ فِي عَيْنَيْنِ فَرْدُوسِيَيْنِ ؟
 وَحَتَّى أَيْنَ ؟
 تَعَذَّبْنِي خَطِيئَاتِي .. بَعِيداً عَنْ مَوَاعِيدِكَ
 وَتَحْرِقْنِي اشْتِهَاءَاتِي قَرِيباً مِنْ عُنَاقِيدِكَ !
 وَفِي صَدْرِي
 صَبِي أَحْمَرُ الْأُظْفَارِ وَالْمَاضِي
 يَخْطُطُ فِي تَرَابِ الرُّوحِ ،
 فِي أَنْقَاضِ أَنْقَاضِي !
 وَأَنْظُرُ نَحْوَ عَيْنِكَ

فترعشني طهارة حب
وتغرقني اختلاجة هذب
والمح — من خلال الموج — وجه الرب
يؤنيني

على نيران أنفاسي، يقلبني
وأطرق ...

والصراع المر في جوفى يعذبني !!

... ..

أحرق في خضور الصيف في شفتيك :

يموى داخل الحرامان
(لهيب آدمي الشوق ، مصباحان يرتعشان)
وأهرب نحو عينيك :

يطالعني الندى والله والغفران !
وأسقط بين نهديك
لتحترق الروءى

وأغرق فيهما بالنار والشك
فمشوى رغبتى شيا
وأغمض عنك عينيا

وأسند رأسي الملفوح في صدرك
فقد تترمد الأفكار في جهرك
وأحرق جنة المأوى
... ..

فيا ذات العيون الخضر
دعي عينيك مغمضتين فوق السر
.. لأصبح حر !!

طفلتها

(.. مرت بحس سنوات على الوداع وفجأة .. رأى طفلتها !)

لأنقرى من يدي مخبئه
.. تحب النار بحوف المدفأة !
أنا ..

(لوتدرين)
من كنت له طفله

لولا زمان فجأه
كان في كفى ما ضيعته
في وعود الكلمات المرجأه
كان في جنبي
لم أدر به !

.. أو يدرى البحر قدر اللؤلؤة ؟

عمر ضائع من شباني
تسروب الخطئة
كما قرت بعام
حسرت مهجتي عاماً
.. وألقت صدأه
الآن تحمل من الماضي
سرى ذكريات في الأسى مهترته
تعزى بالدجى
إن الدجى للذى ضل منه ..
كك !!

• • •

اليون الواسعات الهادئة
الشاه الحلوة الممتلئة :
حبة طفليه
أذكرها

وهي عن سبعة عشر منبئة

إنني أعرفها

فأفترلي

فكلانا في طريق أخطاه

سأفني حمقى

وفي حلقي مرارة شوق

وأمان صدئه

فأبسمي ياطفلتي

(منذ مضت ... وابتسامات الضحي منطفئة)

ثرثرى

(صوتك موسيقى حكمت صوتها ذا النبرات المدفئة)

— « إحك لي أحجية »

— لم يبق في جمعتي

غير الحكايا السيئة

فاسمعي يا ابنتي مسرعة

عبرت فيها الليالي .. مبطفة

.....

« كان يا ما كان »

فأبسمي

فأفترلي

فكلانا في طريق أخطاه

سأفني حمقى

وفي حلقي مرارة شوق

وأمان صدئه

فأبسمي ياطفلتي

(منذ مضت ... وابتسامات الضحي منطفئة)

ثرثرى

(صوتك موسيقى حكمت صوتها ذا النبرات المدفئة)

— « إحك لي أحجية »

— لم يبق في جمعتي

غير الحكايا السيئة

فاسمعي يا ابنتي مسرعة

عبرت فيها الليالي .. مبطفة

.....

« كان يا ما كان »

في قصور الأمنيات المنشأة
لم تكن تملك إلا طهرها
لم يكن يملك إلا مبدأه

• • •

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشتري نصف امرأة
حيناً أو ما لها مبتسماً
فأشاحت عنه
كالمستهنئة
اشتراها في الدجي
صاغرة
زفت السبعة عشر .. للمئة
لم يكن شاعرهما فارسها
لم يكن يملك إلا ..
التهنئة

لم يكن يملك إلا مبدأه
ليس إلا ..
كلمات مطفأة

• • •

أترى تدرين من كان الفتى ؟
فهو يدري الآن
يدري خطأه !
والتي بيعت وفي معصمها الوشم
فاعتاد القواد الطاطأة ؟!
ومن النحاس ؟
هل تدريته ؟
وهو ملاح تناسى مرفأه
اننى أكرهه
يكبره ضوء مصباح نبيل أطفأه
غير أن الحقد ..
(يا طفلة)

وأنت يا حبيبي
طير على سفر

.. ماكان يا حبيبي
حلم ؛ وقد عبر !

ويرحل المطر
ويذبل الشجر
ويغمر الغبار النقوش والصور

وينزل المطر
ويرحل المطر
وينزل المطر
ويرحل المطر
والقلب يا حبيبي
مازال ينتظر

... ..
وتهبط الأحزان
فتمحي الألوان
والقلب
والخطوط العرجاء
والأسمان

وينخر السوس القديم في العيدان
وترحل الطيور الزرق
بلا عنوان

تسأل عن هوانا
تسأل عما كان

قلبي .. والعيون الخضراء

- ١ -

صبياً كان

شددت على يديه القوس

أعلمه الرماية

(كى يفوق بقية الأقران)

« فلما اشتدَّ ساعده .. »

.....

ثلاث سنين

أبارز قلبي المفتون

يجمع بيننا ليل ، ويفصلنا نهار قتال

تطل على — خلف لثامه — عينا خضراوان

(كأوردية تلون بطن ركة عانس عجفاء)

وقبلا .. كانتا في وجه قديسة !

° ° °

ثلاث سنين

يتنازلى ، أنازله

حدث ساخن ، وغبار

يرف على الفم المزموم ،

ثم يرين فوق العشب والأسوار

وكان الفخ قرب الباب

سقطت ملوث الرتين والأثواب

أشاحت عنى العينان

وكنت تراب

وكان يدير لى كتفيه فى استهزاء

.. وتعرف أنت

ماذا يفعل المغلوب مثلى

حين يوليه العدو الظهر ؟

وفى كفى بقايا سهم

.....

° ° °

وطفلاً كنت ، كالأطفال

ومركبة من الكلمات تحملنى لعرش الشمس

وقلدنى الهوى سيفه :

« إلى ذات العيون الخضراء »

وكوكبة من الرباط مصطفة

« إلى ذات العيون الخضراء »

وقريتنا — وراء العين — تورا من الصمت

ونثررة من الغدران

وصوت الطبل

يدق لينزع القمر القديم نفاه المعتل

وطفل شاحب ينهض

تزغرد نسوة لختانه المدسوس في جلبابه الأبيض

وفوق الجسر

غلام لاهث يعدو

يلمسك مهرة فرت وفي سيقانها يتعلق القيد

... ..

ومركبتى تشد الأفق مخروطة الدرب

« إلى ذات العيون الخضر »

تلال السحب تهرب من ورائى كومة .. كومة

وأنسام تظم عباءتى بأنامل الرحمة

ومن ضمه

إلى ضمه

تنسمنا قلاع الحب والحكمة

ولكننا على الأبواب

أطل نتوء

(كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكير)

على العجلات مد لسانه الموبوء

تهاوت فيه مركبتى

فعد بإصاحب الكلمات

كأسياخ الحديد توهجت في النار

تمر على عيونك أحرف الكلمات

« هوانا مات »

تھاوينا

بلغنا قمة القمة

لنهبط في انحدار الجانب الآخر

ومن عثره الى عثره

تلقانا تراب الأرض في راحاته البرّة

ودارت قهوة الموتى

رأيت يديك هذا اليوم

معطرتين ، ناعمتين

ولكننى رأيت على أظافرك الدم الملمم

وفي المجرى الذى ينساب في النهدين

مددت يدك قبيل النوم

عذرت على حطام الخنجر المسموم
والقفاز !!

يا وجهها

يا منى .. شفى .. سهوا

يا منى .. شفى .. سهوا

يا منى .. شفى .. سهوا

..

يا منى .. شفى .. سهوا

يا منى .. شفى .. سهوا

يا منى .. شفى .. سهوا

..

يا منى .. شفى .. سهوا

يا منى .. شفى .. سهوا

يا منى .. شفى .. سهوا

يا منى .. شفى .. سهوا

..

يا منى .. شفى .. سهوا

الصفيف فيك يعانق الصحوا
عينك ترتجيان في أرجوحة
والشعر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى
° ° °

في الليل افتقدك
فتضيء لي قسمانك النشوى
تأق خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس في وجهي لظى الأنفاس
حين يلفني رغدك !
وأنام !
تحملني رؤاك لنجمة قصوى
نترفق الخطوا
نحكي ، فأرشف همسك الرخوا
ويهزني صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى !

الصفيف فيك يعانق الصحوا
عينك ترتجيان في أرجوحة
والشعر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى
° ° °

في الليل افتقدك
فتضيء لي قسمانك النشوى
تأق خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس في وجهي لظى الأنفاس
حين يلفني رغدك !
وأنام !
تحملني رؤاك لنجمة قصوى
نترفق الخطوا
نحكي ، فأرشف همسك الرخوا
ويهزني صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى !

مقتل القمر !

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس

في كل المدينة :

« قتل القمر » !

شهادته مصلوباً تدلى رأسه فوق الشجر !

نهب اللصوص قلادة الماس الثمينة

من صدره !

تركوه في الأعواد ،

كالأسطورة السوداء في عيني ضريب

ويقول جاري :

— « كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »

وتقول جارثنا الصبية :

— « كان يعجبه غنائى في المساء

وكان يهدينى قوارير العطور

فبأى ذنب يقتلونه ؟

هل شاهدوه عند نافذتى — قبيل الفجر — يصغى للغناء

من كل العيون

أطلس القصر

.. مات !

التي غدرت به

«

»

• • •

حبيه على عينيه ..

من فارقه !

باب المدينة

أبناء قريتنا أبوكم مات

قتله أبناء المدينة

خوفاً عليه دموع إخوة يوسف

«

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضغينة
يا اخوتي : هذا أبوكم مات !

— ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت

بالأمس طول الليل كان هنا

يقص لنا حكايته الحزينة !

— يا اخوتي بيدي هاتين احتضنته

أسبلت جفنيه على عينيه حتى تدفنه !

قالوا : كفك ، اصمت

فانك لست تدري ما تقول

قلت : الحقيقة ما أقول

قالوا : انتظر

لم تبق إلا بضع ساعات ..

ويأتي !

° ° °

حط المساء

وأطل من فوق القمر

متألق البسمات ، ماسى النظر

— يا اخوتي هذا أبوكم ما يزال هنا

فمن هو ذلك الملقى على أرض المدينة ؟

قالوا : غريب

ظنه الناس القمر

قتلوه ، ثم بكوا عليه

ورددوا « قتل القمر »

لكن أبونا لا يموت

أبدأ أبونا لا يموت !

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترق
 إذ يمضي الوقت .. فنفترق
 ونمد الأيدي
 يجمعها حب
 وتفرقها .. طرق
 . . .
 .. ولأنت جواري ضاحجة
 وأنا بجوارك ، مرتفق
 وحديثك يغزله مرح
 والوجه .. حديث متسق
 ترخين جفونا
 أغرقها سحر
 فطفًا فيها الفرق
 وشبابك حان جبلي
 أرز ، وغدير ينيثق

وببند دهلي وحدي
 مصطبح منه ومعتيق
 وتغوص بقلبي نشوته
 تدفعني إليك .. فتلتصق
 وأمد يدين معربدين
 فتوبك في كفى ..
 مزق
 وذراعك يلتف
 ونهر من أقصى الغابة يندفق
 وأضملك
 شفة في شفة
 فيغيب الكون ، وينطبق

 وتموت النار
 فترقبها
 بجفون حار بها الأرق
 خجلى !
 وشفاهلك ذائبة
 وشارك نشوى تندلق

ونعود نثرثر
كبحيرات هادئة
غطاها الورق

وعمر الوقت فلا ندرى
ويقبح محافله الشفق
وتدق الساعة معلنة
فهب بنا صحو قلق
ويحين وداع
وقتي

وأراه كحللم ينسحق
يرتد الصمت لموضعه
ويعود إلى الأذن الخلق
ونغد الأيدي
راغمة

ننشاكي العتب
وتنزلق !

وأحس بشيء في صدري
شيء .. كالفرحة
يحترق !

قالت

قالت : تعال إليّ
واصعد ذلك الدرج الصغير
قلت : القيود تشدني
والخطو مضني لا يسير
مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغت
وقد أخور
درج صغير
غير أن طريقه .. بلا مصير
فدعي مكاني للأسى
وامضي الى غدك الأمير
فالعمر أقصر من طموحي
والأسى قتل الغدا

• • •

قالت : سأنزل
قلت : يا معبودي لا تنزلي لي

قالت : سأُنزل
قلت : خطوطك منه في المستحيل
ما نحن ملتقيان
رغم توحد الأمل النبيل
... ..

نزلت تدق على السكون
رنين ناقوس ثقيل
وعيوننا متشابكات في أمسى الماضي الطويل
تخطو إلى
وخطوها ما ضلّ يوماً عن سبيل
وبكى العناق
ولم أجد إلا الصدى
إلا الصدى

ماريّا ؛ يا ساقية المشرب
الليلة عيد
لكننا نخفى جهرات التنهيد !
صبي النشوة نخباً .. نخباً
صبي حبا

قد جئنا الليلة من أجلك
لشيخ العمر المتشرد خلف شعاع الغيب المهلك
في ظل الأهداب الإغريقية !
ما أحلى استرخاءة حزن في ظلك
في ظل الهدب الأسود

.....

— ماذا يا ماريّا ؟
— الناس هنا كالناس هنالك في اليونان
بسطاء العيشة ، محبوبون
— لا يا ماريّا

إناس هنا — في المدن الكبرى — ساعات

! تتخلف

! تتوقف

! تنصرف

آلات ، آلات ، آلات

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان !

.....

ماذا يا سيدة البهجة ؟

العام القادم في بيتي زوجة ؟!

قد ضاعت يا ماريًا من كنت أود

ماتت في حضن آخر

لكن ما فائدة الذكرى

ما جدوى الحزن المقعد

نحن جميعاً نحجب ضوء الشمس ونهرب

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان

.....

قولى يا ماريًا

أوما كنت زماناً طفلة

يلقى الشعر على جبهتها ظله

من أول رجل دخل الجحـ واستلقى فوق الشيطان

علقت في جبهته من ليلك خصلة

فضَّ الثغر بأول قبلة

أوما غنيت لأول حب

غنينا يا ماريًا

أغنية من سنوات الحب العذب

.....

.....

.....

ما أحلى النغمة

لتكاد تترجم معناها كلمة .. كلمة

غنينا ثانية .. غنى

(أوف .

لا تتجههم

ما دمت جوارى ، فلتتبسم

بين يديك وجودى كنز الحب

عيناي الليل .. ووجهي النور

شفتاي نبيذ معصور
صدرى جنتك الموعودة
وذراعاي وساد الرب
فتبسم للحب ، تبسم
لا تتجهم
لا تتجهم)

.....
ما دُمت جوارك يا ماريًا لن أتجهم
حتى لو كنت الآن شاباً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عيني نحو الشمس كثيراً
لكني منذ هجرت بلادى
والأشواق
تمضغنى ، وعرفتُ الأطراق
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يوماً ما للشمس
أن يورق فى جدلى فيضان الأمس
.....

قولى يا ماريًا
العام القادم يبصر كلُّ منا أهله
كى أرجع طفلاً .. وتعودى طفلة
لكننا الليلة محرومون
صبي أشجانك نجياً .. نجياً
صبي حياً
فأنا ورفاقى
قد جفنا الليلة من أجلك !

استريحي

استريحي

ليس للدور بقية

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق

ولا ترتدى تلك المسوح المريمية

واكشفي البسمة عما تحتها

من حنين .. واشتهاء .. وخطيه

كنت يوماً فتنة قدستها

كنت يوماً

ظماً للقلب .. وريه

° ° °

لم تكوني أبداً لي

إنما كنت للحب الذي من سنتين

قطف التفاحتين الحلوتين

ثم ألقى

ببقايا القشرتين

وبكى قلبك حزناً

فقداء دمة حمراء

بين الرثتين

وأنا ؛ قلبي مندبل هوى

جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين

ولوته ..

في ارتعاشات اليدين

كان ماضيك جداراً فاصلاً بيننا

كان ضللاً شبحية

فاستريحي

ليس للدور بقية

أيها نحن جلسنا

ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي

كنت تخشين من اللمسة

أن تمحي لمسته في راحتي

وأحاديثك في الهمس معي

إنما كانت إليه ..

لا إلى

فاستريحى الآن

لم يبق سوى حيرة السير على المفرق

كيف أقصيك عن النار

وفى صدرك الرغبة أن تحترق ؟

كيف أدنيك من النهر

وفى قلبك الخوف وذكرى الغرق ؟

أنا أحبك حقاً

إنما لست أدري

أنا .. أم أنت الضحية ؟

فاستريحى ، ليس للدور بقية

الهار الذى نتقيه

هذا الذى يجادلون فيه

قولى لهم من أمه ، ومن أبوه

أنا وأنت ..

حين أنجينا ألقيناه فوق قمم الجبال كى يموت !

لكنه ما مات .

عاد إلينا عنفوان ذكريات

لم نجترى أن نرفع العيون نحوه

لم نجترى أن نرفع العيون

نحو عارنا المميت

• • •

ها طفلنا أمامنا غريب

ترشقه العيون والظنون بازدراؤها

ونحن لا نجيب

(وربما لو لم يكن من دمنا

كنا مددنا نحوه اليدا

بعمري — من الشوك — مخشوشن
 بعرق من الصيف لم يسكن
 بتجويف حب ، به كاهن
 له زمن .. صامت الأرغن :
 أعيش هنا
 لا هُنا ، إنني
 جهلْتُ بكينونتي مسكني
 غدى : عالم ضل عني الطريق
 مسالكة للسدى تنحني
 علاماته .. كاثيال الوضوء
 على دنس منتن .. منتن
 تفح السواسن سم العطور
 فأكفر بالعطر والسوسن
 وأفصد وهمي .. لأمتصه
 فيمتصني الوهم ، يمتصني ..

لكنه .. ما زال يقطع الدروب
 يقطع الدروب
 وفي عيوننا الأسى المريب

• • •

« أوديب » عاد باحثاً عن اللذين ألقياه للردي
 نحن اللذان ألقياه للردي
 وهذه المرة لن نضيعه
 ولن نتركه يتوه
 نأديه

قولي انك أمه التي ضنت عليه بالدفع
 وبالبسمة والحليب

قولي له أني أبوه
 (هل يقتلني ؟) أنا أبوه
 ما عاد عاراً نتقيه
 العار : أن نموت دون ضمة
 من طفلنا الحبيب
 من طفلنا « أوديب »

ملاكى : أنا فى شمال الشمال
أعيش .. ككأسى بلا مدمن
ترد الذباب انتظاراً ، وتحسو
جمود مواعدها الخوّن
غريب الخطايا ، بقايا الحكايا
من الليل لليل تستلنى
أرث ابتسامتى على كل وجه
توسد فى دهنه اللين
ويجرحنى الضوء فى كل ليل
مرير الخطي ، صامت ، محزن
سريت به — كالشعاع الضئيل —
الى حيث لا عابر ينثنى
هى اسكندرية بعد المساء
شتائية القلب والمخضن
شوارعها خاويات المدى
سوى : حارسى لى لا يعتنى
ودورة كليين كى ينسلا
ورائحة الشيق المزمّن
ملاكى .. ملاكى .. تساءل عنك

اغتراب التفرد فى مسكنى
سفحت لك اللحن عبر المدى
طريقاً إلى المبتدأ ردى
وعيناك : فيروزتان تضيقان
فى خاتم الله .. كالأعين
تمدان لى فى المغيب الجناح
مدى ، خلف خلف المدى الممعن
سألتهما فى صلاة الغروب
عن الحب ، والموت ، والممكن
ولم تذكر لى سوى خلجة
من الهدب قلت لها : هيمنى !
هواى له الشمس تنبذة
إلى اليوم بالموت لم تؤمن
وكانت لنا خلوة ، إن غدا
لها الخوف أصبح فى مأمن
مقاعد ما تزال النجوم
تحجج إلى صمتها المؤمن
حكينا لها ، وقرأنا بها
بصوت على الغيب مستأذن

دنوا ، دنوا ففى جعبتى
 حكايات حب سنى ، سنى
 صقلت به الشمس حتى غدت
 مرايا مساء لتزيتى
 وصفت لك النجم عقداً من
 الماس شع على صدرك المفتى
 أردتك قبل وجود الوجود
 وجوداً لتخليده لم أن
 تغربت عنك ، لحيث الحياة
 مناجم حلم بلا معدن
 ودورة كليين كى ينسلا
 ورائحة الشبق المزمّن

ملاكى : ترى ما يزال الجنوب
 مشارق للصيف لم تعلن
 ضمنت لصدري تصاويرنا
 تصاوير تبكى على المفتى
 سأتى إليك أجر المسير
 خطى فى تصلبها المذعن

سأتى إليك كسيف تحطم
 فى كف فارسه المشخن
 سأتى إليك نحيلاً .. نحيلاً
 كخيطة من الحزن لم يحزن
 . . .
 أنا قادم من شمال الشمال
 لعينين — فى موطنى — موطنى !

أوتوجراف

لن أكتب حرفاً فيه

فالكلمة — إن تكتب — لا تكتب

من أجل الترفيه

(والأوتوجراف الصامت تهذل الكلمات عليه ،
تعييه

وتطرز كل مثاليه !

ماضيك

— وماضي الأوتوجراف —

بقايا شوق مشبوه

بصمات الذكرى فيك ، وفيه

وخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه

لكنني أطرّد كل ذباب الماضي عن بائي

فدعيه

غيري قد يصبح سطرّاً من ورق

يقبله من يجهله أو من يدره

غيري قد ينبش تابوتاً براق اللون

تعفن خافيه

لكنني أطرّد كل ذباب الذكرى

عن غدى المشدوه

عن ثوى ، وطعامي ، وفراشي

عن خطوة تبي

.....

يا أصغر من كلماتي

لن أكتب فيه

فخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه !

انتظري !.

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضراء والشعر الغري
أشبهت في تصوري .

(بوجهك المدور)

حبيبة أذكرها .. أكثر من تذكرى

يا صورة لها على المرأة ، لم تنكس

حبيبتى — مثلك —

لم تشبه جميع البشر

عيونها حدائق حافلة بالصور

أبصرتها اليوم بعينيك

اللتين صبتا في عُمري ..

طفولة .. منذ اتران الخطو لم تنحسر

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصوري

كم أشهر وأشهر

مرت ولسنا نلتقى

مرت .. ولم غُضوضر

الماس في مناجى

مشوه التيلور

والذكريات في دمي

عاصفة التحرر

كرقصة نارية من فتيات العجبر

.....

لكننى حين رأيت الآن صورة لها

في مهجري

أيقنت أن ماسنا ما زال

حىّ الجواهر

وأنا سنلتقى ..

رغم رياح القدر

وأنى في فمك المستضحك المستبشر

أغنية للقمر

أغنية ترقص فيها القرويات

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصورى

كم أشهر وأشهر

مفترباً عن العيون الأخضر والشعر الذى

العينان الخضراوان

العينان الخضراوان

مروحتان

فى أروقة الصيف الحران

أغبيتان مسافيتان

أبحرتا من نايات الرعيان

بعبير حنان

بعزاء من آهة النور إلى مدن الأحزان

سنتان

وأنا أبنى زورق حب

يمتد عليه من الشوق شراعان

كى أبحر فى العينين الصافيتين

إلى جزر المرجان

ما أحلى أن يضطرب الموج فينسدل الجفنان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان !

• • •

Petit Terianor

(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حتى المكان !
كيف هنا عنده ؟
والأمس هان ؟
قد دخلنا ..
لم تُشر مائدةً نحونا !
لم يستصفنا المقعدان !!
الجليسان غريبان
فما بيننا إلا . ظلال الشمعدان !
أنظري ؛
قهوتنا باردة
ويدانا — حولها — ترتعشان
وجهك الغارق في أصباغه
وجهي الغارق في سحب الدخان
رُسمًا

في صمت « الكاتدرائيات » الوستان
صور « للعذراء » المسبلة الأجفان
يا من أرضعت الحب صلاة الغفران
وتغطي في عينيك المسبلتين
شبابُ الحرمان
رُدِّي جفنيك
لأبصر في عينيك الألوان
أهما خضراوان
كعيون حبيبي ؟
كعيون يبحر فيها البحر بلا شطآن
يسأل عن حبّ
عن ذكرى
عن نسيان !
قلبي حران ، حران
والعينان الخضراوان
مروحتان !

(ما ابتسما !)
في لوحة خانت الرسام فيها ..
لمستان !!

تُسدل الأستار في المسرح
فلنضيء الأنوار
إن الوقت حان
أمن الحكمة أن نبقي ؟
سدى !!

قد خسرنا فرسينا في الرهان !
قد خسرنا فرسينا في الرهان
مالنا شوط مع الأحلام
ثان !!

نحن كنا ها هنا يوماً
وكان

وهج النور علينا مهرجان
يوم أن كنا صغاراً
نمتطى صهوة الموج
إلى شط الأمان

كنتُ طفلاً لا يعنى معنى الهوى

وأحاسيسك مرخاة العنان
قطعة مغمضة العينين
في دمك البكر لهيب الفوران
عامنا السادس عشر :
رغبة في الشرايين
وأعواد لدان
ها هنا كل صباح نلتقى
بيننا مائدة
تندى .. حنان
قدمانا تحتها تعتنقان
ويدانا فوقها تشبكان
إن تكلمت :
ترئمت بما همسته الشفتان الحلوتان
وإذا ما قلتُ :
أصغت طلعة حلوة
وابتسمت غمازتان !
أكتب الشعر لنجواك
(وإن كان شعراً يبعثي البيان)
كان جمهوري عيناك !

إذا قلته : صفقتا تبسمان

ولكن ينصحنا الأهل

فلا نصحبهم عزّ

ولا الموعد هان

لم نكن نخشى إذا ما نلتقى

غير ألا نلتقى في كل آن

ليس ينهائى تأنيب أُنّى

ليس تنهاك عصا من خيزران !!

الجنون البكر وليّ

وانتهت سنة من عمرنا

أو .. سنتان

وكما يهدأ عصف النهر

إن قارب البحر

وقاراً .. واتزان

هدأ العاصف في أعماقنا

حين أفرغنا من الخمر الدنان

قد بلغنا قمة القمة

هل بعدها إلا .. هبوط العنقوان

اقترقنا ..

(دون أن تغضب)

لا يفضب الحكمة صوت الهذيان

ما الذى جاء بنا الآن ؟

سوى لحظة الجبن من العمر الجبان

لحظة الطفل الذى فى دمنا

لم يزل يحبو ..

ويكبو ..

فيعان !

لحظة فيها تناهيد الصبا

والصبا عهد إذا عاهد : خان

أمن الحكمة أن نبقى ؟

سدى

قد خسرنا فرسينا فى الرهان

° ° °

قبلنا يا أخت فى هذا المكان

كم تناجى ، وتنأى عاشقان

ذهبا

ثم ذهبنا

وغداً ..

يتساقى الحب فيه آخران !
فلندعه لهما
ساقية ..
دار فيها الماء
مادار الزمان !!

البركة بين يدي زرقاء العجاسة

آه .. ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق .
ربما ننفق كل العمر .. كي ننقب ثغره
لنمر النور للأجيال .. مره !

... ...

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

إلى « مازن جودت أبو غزالة »
عرفته في سنوات السّؤال .
رحل مع « العاصفة » .

للوهلة الأولى

قرأت في عينيه يومه الذى يموت فيه .
رأيت في صحراء « النقب » مقتولا ..
منكفئاً .. يغرر فيها شفتيه ،

وهى لا تردّ قبلة .. لفيه !

نتوه في القاهرة العجوز ، نسى الزمان
نفلت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المشولين
تظّلنا محطة المترو مع المساء .. متعبين .
وكان يبكي وطننا .. وكنت أبكي وطننا
نبكى إلى أن تنضب الأشعار
نسألها : أين خطوط النار ؟
وهل تُرى الرصاصة الأولى هناك .. أم هنا ؟
. . .

والآن .. ها أنا

أظل طول الليل لا ينوق جفنى وسنا
أنظر في ساعتى الملقاة في جوارى

حتى تحمى . عابراً من نقط التفتيش والحصار
تتسع الدائرة الحمراء في قميصك الأبيض ، تبكى شج
من بعد أن تكسرت في « النقب » رايتك !
تسألنى : « أين رصاصتك ؟ »
« أين رصاصتك »

ثم تغيب : طائراً .. جريحاً

تضرب أفقك الفسيح
تسقط في ظلال الضفة الأخرى ، وترجو كفنا !
وحين يأتي الصبح — في المذيع — بالبشائر
أزيع عن نافذتى الستائر ،
فلا أراك .. !

أسقط في عارى . بلا حراك
اسأل إن كانت هنا الرصاصة الأولى ؟
أم أنها هناك ؟ ؟

كلمات سبارتكوس الأخيرة

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال « لا » في وجه من قالوا « نَعَمْ »

من عَلَّمَ الإنسانَ تمزيقَ العدم

من قال « لا » .. فلم يَمُتْ ،

وظل رُوحاً أبدية الألم !

(مزج ثان) :

مُعلِّقُ أنا على مشائق الصباح

وجيَّتي — بالموت — مخنَّية

لأننى لم أحنها .. حَيَّة !

...

يا اخواتي الذين يعبرون في الميدان مطرقيْن

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر .:

لا تخجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلى

لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق القيصِر .

فلترفعوا عيونكم إلى

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عَيْنَيَّ :

يتسم الفناء داخلى .. لأنكم رفعتم رأسكم .. مرَّة !

« سيزيف » لم تعد على أكتافه الصخرة

يحملها الذين يولدون في مخادع الرقيق .

والبحر .. كالصحراء .. لا يروى العطش

لأن من يقول « لا » لا يرتوى إلّا من الدموع !

.. فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوق

فسوف تنتهون مثله .. غدا .

وقبلوا زوجاتكم .. هنا .. على قارعة الطريق

فسوف تنتهون ها هنا .. غدا .

فالانحناء مر ..

والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى

فقبلوا زوجاتكم .. إلى تركت زوجتى بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الانحاء !
علموه الانحاء !

الله . لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا !
والودعاء الطيبون ..

هم الذين يرثون الأرض في نهاية المدى
لأنهم .. لا يشنقون !
فعلّموه الانحاء .

وليس ثم من مفر .
لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد !

وخلف كل نائب يموت : أحرار بلا جدوى ..

ودمعة سدى !

(مزج ثالث) :

ياقيصر العظيم : قد أخطأت .. إني أعترف

دعني — على مشنقتي — ألتئم يدك

ها أنذا أقبل الحبل الذي في عنقي يلتف

فهو يدك ، وهو مجدك الذي يجبرنا أن نعبدك
دعني أكفر عن خطيئتي

أمنحك — بعد ميتتي — جمجمتي
تصوغ منها لك كأساً لشرابك القوي
.. فان فعلت ما أريد :

إن يسألك مرة عن دمي الشهيد
وهل تُرى منحتني « الوجود » كي تسلبني « الوجود »
فقل لهم : قد مات .. غير حاقِد عليّ
وهذه الكأس — التي كانت عظامها جمجمته —
وثيقة الغفران لي .

ياقاتلي : إني صفحت عنك ..

في اللحظة التي استرحت بعدها مني :
استرحت منك !

لكنني .. أوصيك إن تشأ شق الجميع

أن ترحم الشجر !

لا تقطع الجذوع كي تنصبها مشانقا
لا تقطع الجذوع

فرمما يأتى الربيع

« والعالمُ عامُ جوع »

فلن تشم في الفروع .. نكهةَ الثمر !

وربما يمرُّ في بلادنا الصيفُ الخطيرُ

فتقطع الصحراء . باحناً عن الظلال

فلا ترى سوى الهجير والرمال والهجير والرمال

والظماً التارياً في الضلوع !

ياسيد الشواهد البيضاء في الدجى ..

ياقيصر الصقيع !

(مزج رابع) :

ياأخوتي الذين يعبرون في الميدان في انحناء

منحدرين في نهاية المساء

لا تحلموا بعالم سعيد ..

فخلف كل قيصر يموت : قيصرٌ جديد .

وإن رأيتم في الطريق « هانيبال »

فأخبروه أنني انتظرته . مدى على أبواب « روما » المجهدة

وانتظرتُ شيوخ روما — تحت قوس النصر — قاهر الأبطال

ونسوة الرومان بين الزينة المعريدة

ظللن ينتظرن مقدم الجنود ..

ذوى الرؤوس الأطلسية المجددة

لكن « هانيبال » ما جاءت جنوده المجددة

فأخبروه أنني انتظرته .. انتظرته ..

لكنه لم يأت !

وأننى انتظرته .. حتى انتهت في حبال الموت

وفي المدى : « قرطاجة » بالنار تحترق

« قرطاجة » كانت ضمير الشمس : قد تعلّمت معنى الركوع

والعنكبوت فوق أعناق الرجال

والكلمات تحتنق

يا اخوتي : قرطاجة العذراء تحترق

فتقبلوا زوجاتكم ،

إني تركت زوجتي بلا وداع

وإن رأيتم طفلى الذى تركته على ذراعها .. بلا ذراع

فعلّموه الانحناء ..

علّموه الانحناء ..

علّموه الانحناء ..

(البريل ١٩٦٢)

الأرض .. والجرح الذى لا يفتح

الأرض مازالت ، بأذنيها دمّ من قرطها المنزوع ،
قهقهة اللصوص تسوق هودجها .. وتركها بلا زائد ،
تشدّ أصابع العطش المميت على الرمال ،
تضيق صرختها بمحممة الخيول .
الأرض ملقاة على الصحراء .. ظامئة ،
وتلقى الدلو مرات .. وتخرجه بلا ماء !
وتزحف فى هيب القبط ..
تسأل عن عنوبة نهرها ..
والنهر سمّ المغول
وعيونها تنجو من الأعياء ، تستقى جذور الشوك ،
تنتظر المصير المر .. يطحنها الذبول
. . .

من أنت يا حارس ؟

إني أنا الحجاج ..

عصيتي بالتاج ..

تشرينها القارس !

الأرض تُطوى في بساط « النفط » ،

تحملها السفائن نحو « قيصر » كي تكون إذا تفتحت
اللفائف :

رقصة .. وهدية للنار في أرض الخطاة .

دينارها القصدير مصهور على وجنتها .

زئارها المحلول يسأل عن زناة الترك ،

والسياف يجلبدها ! وماذا ؟ بعد أن فقدت بكارتها ..

وصارت حاملاً في عامها الألفى من ألفين من عشاقها !

لا النيل يغسل عارها القاسي .. ولا ماء الفرات !

حتى لزوجته نهرها الدموي ،

والأموى يقعى في طريق النبع :

« .. دون الماء رأسك يا حسين .. »

وبعدها يتملكون ، يضاجعون أرامل الشهداء ،

ولا يتورعون ، يؤذنون الفجر .. لم يتطهروا من رجسهم ،
فالحق مات !

• • •

هل ثبت الثقي

قناعه المهزوز ؟

فقد مضى تموز ..

بوجهه العربى !

• • •

أحببت فيك المجد والشعراء ..

لكن الذى سرواله من عنكبوت الوهم :

يمشى في مدائنك المليئة بالذباب

يسقى القلوب عصارة الخدر المنمق ،

والطواويس التى نزعت تقاويم الخوايط ،

أوقفت ساعاتها ،

وتجشأت بموائد السفراء ..

تنتظر النياشين التى يسخو بها السلطان ..

فوق أكابر الأغواث منهم !

باسماء :

أكل عام : نجمة عربية تهوى ..

وتدخل نجمة برج البرامك ! ؟

ما تزال مواعظُ الحصيان باسم الجالسِين على الحراب ؟

وأراك .. و ابن ملول « بين المؤمنين بوجهه القُرْحَى ..

يسرى بالوقعة فيك ،

والأنصارُ واجمة ..

وكل قریش واجمة ..

فمن يهديه للرأى الصواب ؟ !

ملثماً يخطو ..

قد شَوَّهته النار !

هل يُصلح العطارُ

ما أفسد النقطُ ؟

• • •

لم يبق من شيء يُقال .

يا أرض :

هل يلدُ الرجال ؟

(مايو ١٩٦٦)

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

أتبها العرافة المقدسة ..

جثثُ إليك .. متخناً بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتلى ، وفوق الجثث المكْدسة

منكسر السيف ، مغبرّ الجبين والأعضاء .

أسأل يازرقاء ..

عن فعلك الياقوتِ عن ، نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع .. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكّسة

عن صور الأطفال في الخوذات .. ملقاةً على الصحراء

عن جارئٍ الذي يَهْمُ بارتشاف الماء ..

فيثقب الرصاصُ رأسه .. في لحظة الملامسة !

عن الفم المحشو بالرمال والدماء !!

أسأل يازرقاء ..

عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدار !

عن صرخة المرأة بين السبى . والفراز ؟

كيف حملت العار ..

ثم مشيتُ ؟ دون أن أقتل نفسي ؟ ! دون أن أنهار ؟ !

ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟ !

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. بالله .. باللجنة .. بالشيطان

لا تغمضى عينيك ، فالجرذان ..

تلعق من دمي حساءها .. ولا أردّها !

تكلمى ... لشدّ ما أنا مُهان

لا الليل يُخفى عورتي .. ولا الجدران !

ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدّها ..

ولا احتبائي في سحائب الدخان !

.. تقفز حولي طفلةً واسعة العينين .. عذبة المشاكسة

(— كان يُقصُّ عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادق

ففتتح الأزرار في ستراتنا .. ونسند البنادق

وحين مات عَطَشاً في الصحراء المشمسة ..

رطبّ باسمك الشفاه اليابسة ..

وارتخت العينان !)

فأين أخفى وجهي المتهمّ المدان ؟

والضحكة الطروب : ضحكته ..

والوجه .. والغمازتان ! ؟

• • •

أيتها النبية المقدسة ..

لا تسكّني .. فقد سكّت سنةً فسنةً ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لى « آخرس .. »

فخرستُ .. وعميت .. واثمتت بالخصيان !

ظللْتُ في عبيد (عيسى) أحرس القطعان

أجتزُ صوفها ..

أردُّ نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة ..

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكمأة .. والرمأة .. والفرسان

دُعيت للميدان !

أنا الذى ما ذقت لحم الضأن ..

أنا الذى لا حول لى أو شأن ..

أنا الذى أقصيت عن مجالس الفتیان ،

أدعى الى الموت .. ولم أدع الى المجالسة !!

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. تكلمى ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمىء .. يطلب المزيد .

أسائل الصمت الذى يخنقنى :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

« أجندلاً يحملن أم حديدا .. ١٩ »

فمن ترى يصدقنى ؟

أسائل الرُكع والسجودا

أسائل القيودا :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

• • •

أيتها العرافة المقدسة ..

ماذا تفيد الكلمات البائسة ؟

قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار ..

فاتهموا عينيكي ، يازرقاء ، باليوأر !

قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار ..

فاستضحكوا من وهلك الثرثار !

وحين فوجئوا بحمد السيف : قاibusوا بنا ..

واتمسوا النجاة والفرار !

ونحن جرحى القلب ،

جرحى الروح والفم .

لم يبق إلا الموت ..

والخطأ ..

والدمار ..

وصيبة مشردون يعبرون آخر الأنهار

ونسوة يسقن فى سلاسل الأسر ،

وفى ثياب العاز

عطافات الرأس .. لا يملكن إلا الصرخات الناعسة !

.....

ها أنت يازرقاء

وحيدة ... عمياء !

وماتزال اغنيات الحب .. والأضواء

والعرباث الفارحات .. والأزهار !

فأين أخفى وجهي المشوها

كي لا أعكر الصفاء .. الأبلّة .. الموهبا .

في أعين الرجال والنساء ؟!

وأنت يازرقاء ..

وحيدة .. عمياء !

وحيدة .. عمياء !

(١٣ - ٦ - ٦٧)

أيلول

(جوقة خلفية)

(صوت)

(١)

ها نحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة

فحلت اللعنة

في جيلنا المخبول !

... ..

قد حلت اللعنة

في جيلنا المخبول

فنحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة !

... ..

الحزن الباكي في هذا العام

جمع عنه في السجن قلنسوة الاعداد

سقط من سترته الزرقاء .. الأرقام !

لني في الأسواق : يبشر بنيوته الدموية

بأن وقف على درجات القصر الحجرية

يقول لنا : ان سليمان الجالس منكفئا

برق عصاه

قد مات ! ولكننا نحسبه يغفو حين نراه !!

أراه .

قال .. فكمنناه ، فقأنا عينيه الذاهلتين

وسرقنا من قدميه الخفين الذهبيين

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدهمة

(صوت) :

ونسينا يا ايلول الكلمة .

في سورية

كانت تنهاوى رايات أمة

فرغناها علماً علماً .. ووقعنا في أسر الروم

لكننا في طابور الأسرى المهزوم

كنا ننتظر زياد بن أبيه

نيمود ، فينقذنا مما نتسرل فيه .

كنا نبصر وردتنا الصابحة الحمراء

تنعم في شرفة بيت في حلب الشهباء

وظلمنا ننتظر .. تطول الأظفار .. ويبيض

السالف

.. ذات صباح عاصف

كنا نشرب حين أتتنا الأنباء

.. فتعكر لون الماء !

(جوقة خلفية) :

فحلت اللعنة !

..
الأمراء الصم

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

... ..

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

والأمراء الصم

ماتوا على المداخل

... ..

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

... (٣)

لو زرت دمشق

لوقفت على أبواب « المزه » ولتابع

الطرق

ودلفت الى غرفات التعذيب ..

(صوت) :

ورأيتك تضحك يا أيلول وأنت على

الأخشاب تدق .

فلقد أبصرتك في آخر ليلة

مصلوباً تتأرجح في باب زويلة !

ولست أصابع قدميك هنيهات ما بين

الدهشة والتكذيب

وحشوت جراحك بتاب الأرض المنيعة

ولفقتك في الرايات المنكودة

وحملتك حتى وارتك في مقبرة

أصمت .. وراء الشرق .

لكنى أسمع صوتك في الليل ؛ تغنى

يايلول

..

في ضجة المذياع

يخف صوت الحق !

فمن يقول الصدق .

(جوقة خلفية) :

كى نرهف الأسماع ؟

... ..

من ذا يقول الصدق

كى نرهف الأسماع ؟

فضجة المذياع

تخفت صوت الحق !

... ..

يخفت صوت الحق

تجعل من تجويفات عظام الموق : قصبات
الأرغول
فيجيء غناؤك . ممزوجا بنحيب !

فمن يقول الصدق ؟

... ..

(صوت) :

نتنظر الريح

من كل ضريح

... ..

من كل ضريح

نتنظر الريح

... ..

(سبتمبر ١٩٦٧)

(الجوقة) :

هذا العام ..

أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من

الأنسام

وبقينا في المهدي المختنق المبحوح .

لكننا من كل ضريح

نتنظر الريح !

... ..

(١)

عرفت هذه المدينة الدخانية .

مقهى فمقهى .. شارعاً فشارعاً

رأيت فيها (اليشمك) الأسود والبراقعا

وزرت أوكار البغاء واللصوصية !

على مقاعد المخططة الحديدية ..

نمت على حقائبي في الليلة الأولى

(حين وجدت الفندق الليلي مأهولاً ؟)

وانقشع الضباب في الفجر .. فكشفت البيوت والمصانعا

والسفن التي تسير في القناة ؛ كالأوزر ..

والصائدين العائدين في الزوارق البخارية !

° ° °

(رأيت عمال « السمد » يهبطون من قطار « المحجر » العتيق

يعتصمون بالمناديل التراثية

يدندنون بالمواديل الحزينة الجنوبية

ويصبح الشلوع .. درياً .. فزقاً .. فمضيئ

فيدخلون في كهوف الشجن العميق

وفي بحار الوهم : يصطادون أسماك سليمان الخرافية !

• • •

عرفت هذه المدينة ؟

سكرت في حاناتها

جُرحت في مشاحناتها

صاحبت موسيقارها العجوز في (تواشيح) الغناء

رهنت فيها خاتمي .. لقاء وجبة العشاء

وابتعت من « هيلانة » السجائر المهرية .

وفي « الكباثون » سبحت

واشتهيت أن أموت عند قوس البحر والسماء !

وسرت فوق الشعب الصخرية المدية

ألقط منها الصدف الأزرق والقواقع .

وفي سكون الليل ؛ في طريق « بور توفيق »

بكيت حاجتي الى صديق

وفي أثر الشوق : كدت أن أصير .. ذذبذة !

(٢)

والآن ؛ وهي في ثياب الموت والفداء

تقصرها النيران .. وهي لا تلتين

أذكر مجلسي اللاهي .. على مقاهي « الأربعين »

وبن رجالها الذين ..

يتسمون خبزها الدامي . وصمتها الحزين

يفتح الرصاص — في صدورهم — طريقنا إلى البقاء .

يسقط الأطفال في حاراتها

تقبض الأيدي على خيوط « طائراتها »

وتترننى — هامة — في بركة الدماء .

وتأكل الحرائق ..

يرتها البيضاء والحداث ..

ونحن ها هنا .. نعص في لجام الانتظار !

نصغى الى أنبائها .. ونحن نحشو فمنا ببيضة الافطار !

تسقط الأيدي عن الأطباق والملاعق

أسقط من طوابق القاهرة الشواهد

أبصر في الشارع أوجة المهاجرين

أعانق الحنين في عيونهم .. والتكريات

أعانق المحنة والنبات .

... ..

هل تأكل الحرائق

يوتها البيضاء والحدائق
بينما تظل هذه « القاهرة » الكبيرة
آمنة .. قريه ؟!

تضئ فيها الواجهات في الحوانيت ، وترقص النساء ..
على عظام الشهداء ؟!

- ١ -

أعرف أن العالم في قلبي .. مات !
كفى حين يكف المدياع .. وتتعلق الحجرات :
أش قلبي ، أخرج هذا الجسد الشمعي
وسجيه فوق سرير الآلام .
فتح فمه ، أسقيه نبيذ الرغبة
لعل شعاعاً ينبض في الأطراف الباردة الصلبة
لكن .. تنفتت بشرته في كفى
لا يتبقى منه .. سوى : جمجمة .. وعظام !

- ٢ -

تنزلقين من شعاع لشعاع
وأنت تمشين — تُطالعين — في تشابك الأغصان في الحدائق
حالة .. بالصيف في عُرفات شهر العسل القصير في الفنادة
ونزهة في النهر ..
واتكئة على شراع !

... ..
.. وفي المساء ، في ضجيج الرقص والتعانق

تنزلقين من ذراع لذرّاع !

تنتقلين في العيون ، في الدخان العصبي ، في سخونة الإيقاع

وفجأة .. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق

يبل ثوبك الفَرَّاشي .. من الأكام حتى الخاصرة !

وحين يُفغر المغنى فمه مرتبكا

تنفجرين ضحكا !

تشعلين ضحكا !

وتخلعين الثوب في تصاعدات النغم الصارخ .. والمطارق

وتخلعين حُفك المشتبك

ثم ...

تواصلين رقصك المجهنن .. ذوق الشفّليات المتناثرة !!

- ٣ -

عينا القطرة تنكمشان ..

فيدق الجرسُ الخامسة صباحا !

أتحسّس ذقني النابتة .. الطافحة بثُورا وجراحا

(.. اسمع خطو الجارة فوق السقف

ذقّ الأعطية ، خربُر الصنبور

حشخشة المدياع ، عدوية جسدى المهور

.. والخطو المتردد فوق ليس يكف .. !)

كنى في دقة بائعة الألبان :

تتوقف في فكى .. فرشة الأسنان !

- ٤ -

في الشارع ..

تيلاقى - في ضوء الصبح - بظليّ الفارغ :

تصافح .. بالأقدام !

- ٥ -

حببتي ، في الغرفة المجاورة

سمع وقع خطوها .. في روحه وجيئة

سمع قهقهاتها الخافتة البريئة

اسمع تتماثلا المحاذرة

حتى حفيف ثوبها ؛ وهى تدور في مكانها .. بهم بالمغادرة

(.. يومان ؛ وهى إن دخلت :

تشاغلّت بقطعة التطريز ..

بالنظر العابر من شباكها الى الافريز ..

بالصمت إن سألت !)

.. وعندما مرت على ؛ بقعة مضية ؛

أُلت. وراء ظهرها .. تحية انصرافها الفاترة

فاحتقت أذناي ، واختبأت في أعمدة الوظائف الشاغرة

حتى تلاشي خطوها .. في آخر الدهليز !

- ٦ -

أطرق باب صديقي في منتصف الليل

(تلب القطة من داخل صندوق الفضلات)

كل الأبواب ؛ العلوية والسفلية ، تُفتح إلا .. بابه

وأنا أطرق .. أطرق

حتى تصبح قبضتي المحمومة خفاشاً يتعلق في بندول * !

... ..

يتدفق من قبضتي المجروحة خيط الدم

يتفرق .. عذماً .. منساباً .. يتساند في المنحنيات

تغسل الرئتان المتعبتان من اللون الدافئ ،

ينفث السّم ..

بتلاشي الباب المغلق .. والأعين .. والأصوات

... وأموت على الدرجات !!

تدق فوق الآلة الكاتبة القديمة

وعندما ترفع رأسها الجميل في افتراق الصفحتين

تراه في مكانه المختار .. في نهاية الغرفة

يرشف من فنجانهِ رشقه

يرشح عينيه على المنحدر الثلجي ، في انزلاق الناهدين !

(.. عينيه هاتين اللتين

تغسل آثارها عن جسهما — قبيل أن تنام — مرتين !)

وعندما ترشقه بنظرة كظيمة

فيسترد لحظة عينيه : يتسم في نعومة

وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين !

... ..

.. في آخر الأسبوع

كان يُعدُّ — ضاحكاً — أسنانها في كتفيه

فقرصت أذنيه ..

وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع

- ٨ -

حين تكونين معي أنت :

أصبح وحدى ..

في بيتي !

... ..

- ٩ -

جاءت إليّ وهي تشكو الغثيان والنوار
(.. انفقْتُ راتبي على أقراص منع الحمل !)
ترفع غوى وجهها مبتل ..
تسألني عن حل !

... ..

هنأني الطبيب ! حينما أصطحبُها اليه في نهاية النهار
رجونه أن يُنهي الأمر .. فتأزّ (.. واستدار يتلو قوانين
العقوبات على كى أكفّ القول !)
هامش :

أفهمته أن القوانين تُسنّ دائماً . لكي تحرق
أن الضمير الوطني فيه يُعلم أن يقلّ النسل
أن الأثاث صار غالياً لأن الجذب أهلك الأشجار
لكنه .. كان يخاف الله .. والشرطة .. والتجار !

- ١٠ -

في ليلة الزفاف ؛ في التوهج المرهق

ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرق

وحين صرنا وحدنا — في لحظة الصمت الكثيف الكلمات

داغبت الخاتم في اصبعها الأيسر ، ثم انكشمت عجلي !

(.. كانوا — وراء الباب — يكتسون النور والظلاً

وتخلع الراقصة الشقراء عريها .. وتحسب الهبات !)

قلت لها « ما أجمل الحفلا »

فاطرقت باسمّة الغمازتين والسمات .

وعندما لمسّتها : تنلجت أطرافها الوجلي !

وانفلتت عجلي .. !

كأنها لم تذق الحب .. ولم يثر بصدرها التهنيدات !

- ١١ -

مذ علّقنا — فوق الحائط — أو سمة اللهفة

وهي تطيل الوقفة في الشرفة !

واليوم ..

قالت إن حبال الصوريّة تقلقها عند النوم !

.. وانفردت بالفرقة !!

- ١٢ -

في جلسة الافطار ، في الهنيهة الطفليّة المبكرة

أعصب عيني بالصحيفة التي يدسها البائع تحت الباب

وزوجتي تبدأ تثرثرها اليومية المتأخرة
وهي تصب شايها الفاتر في الأكواب !
(.. تقص عن جارها التي ارتدت ..
وجارها الذي اشترى ..

وعن شجارها مع الخادم والبواب والقصاب ،
.. ثم تشد من يدي : صفحة الكُرّة !

- ١٣ -

.. العالم في قلبي مات .

لكني حين يكف المذراع ؛ وتعلق الحجرات :
أخرجه من قلبي ، وأسجيه فوق سريري
أسقيه نبيذ الرغبة .

فلعلّ الدفء يعود الى الأطراف الناردة الصلبة
لكن .. تنفنت بشرته في كفى
لا يتبقى منه سوى .. حمجمة .. وعظام !
... .. وأنام !!

(١٩٦٧)

اجازة فوق شاطئ البحر

أغسطس ،

الاسكندرية :

واليود ينشع في رثتين ..
يسد مسامهما الربو .. والأنزلة !

...

طفولة « مايو » شيخ ،

وفي الصباح : نرفع راياتنا البيض للبحر .. مستسلمين ،
لينحزننا الملح ، بمنح بشرتنا الشمس البرصى ،
ونفرش أبسطه الظهير ، نجلس فوق الرمال ،
نُجروخ في حزننا الغامض الشبقي .. لكي يتوهج !
(.. حين همنا بإمساكه : احترقت يدنا) ،

نتلمس ندى البكارة .. كيف تجف النضارة فيه ،
فيفرز سماً .. ودوداً يعيث بتفاحه معطبة ؟!

...

وفي الليل . نخفض راياتنا ..

ننقضُ الهدنةَ الأبديةَ ،

نجروُ أن نساءلُ « هل نحنُ موتى » ؟

وجولأثنا في الملامى ،

اهتزازأثنا في الترام ،

تلاصقنا في ظلام المداخل ،

ذذبذبة النظرات أمام المعارض والعابرات الرشيقات ،

مركبة الخيل حين تسير الهوينى بنا ،

الضحكات ، النكات :-

بقايا من الرّيد المرّ .. والرغوة الذاهبة !!؟

« نرى نحن موتى .. »

وننشُب أنيابنا في الطيور المهاجرة المتعبة !!

(٢)

صديقى الذى غاص في البحر .. مات !

فحططته ..

(.. واحتفظتُ بأسنانه ..)

كلّ يوم إذا طلع الصبحُ : أخذُ واحدة ..

أقذف الشمسَ ذات الحياء الجميل بها ..

واردّدُ : « يا شمسُ ؛ أعطيلكِ سنّته اللؤلؤية ..

ليس بها من غبار .. سوى نكهة الجوع !!

رُدّيه ، رُدّيه .. يرو لنا الحكمة الصائبة ،

ولكنها ابتسمت بسمّة شاحبة !

.....

وكانت على البحر رايةً حزينة ، وغضبةً ريح

ونحن - مع الصمت - نعمل جثثانه فوق اكتافنا ،

ثم نهبط في طرقات المدينة ،

نستوقف العابرين ،

نسألهم عن طريق المدافن .. والرحلة الخائبة !

ولكننا في النهاية ..

عدنا الى شاطئ البحر .. والراية الغاضبة !!

• • •

بدايتنا البحر ..

— حين قصدنا المقابر ! —

كيف رجعنا إليه ؟

وكيف الطريقُ اشتبّه ؟

(١٩٦٦)

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :

أغلقى المذياع ؟

هذا زمن السكينة ،

« سالومي » تغنى ..

من ترى يحمل رأس « المعمدان » ؟

في انكسارات الظلال ..

تبدأ الأحزان في أعماقنا إيقاعها الهادئ ،

تصحو الرغبة المرتعشة .

تنوال قطرات الصمت من صنوبرها الفضى ،

كبي ترسم في صفحة ماضينا .. الدوائر

صورة لأمرأة تجلس في البهو — تحوُّك الصوف —

في مئزرها البيتي ، لفاء الضفائر

نقرات المطر العذبة في النافذة البيضاء ،

دفع الدفء من تمتمة القطعة ،

موسيقى السكون الموحشة

مركبات الغد تدنو في الخيال ..

تعهل الأفراس عند الباب :

— « أين القادمون ؟ »

— الليل .. الوحدة .. والشوق الخال !

(تقاسيم) :

عقب استعراضها الفاشل .. لم تخلع رداء الرقص ،

ظلت خلف أستار « الكواليس » ،

تُرَدُّ السحب الزرقاء عن أعينها ، تبكي شباباً ..

كانت المنعة فيه : قطعة الجبن .. وكأسين من « الروم »

لكي تمرح في غرفة ريفي من الطلاب ..

لا تملك يمنة سوى الكسرة والتبغ الرخيص ،

— الآن يمشي خلفه .. سرب من الأطفال ،

عند النوم يسطون على منظاره الطبي .. حتى لا يرى

وجهها صافٍ .. وعيناها غديران من الحزن ،

ويدنو الخادم الأسمر ، يلقي باقة الورد ،

ويلقى دعوة للسهر ..

(. الآن ستمضي ،

وغدا سوف يوافيها الطبيب — الموت والاجهاض —

هذا شهرها الثالث . رغم الحذر الشائع !
حتى أنت يا أقرص منج الحمل !
ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !

الموت في لوحات

(١)

مصفوفة حقالي على رفوف الذاكرة .
والسفر الطويل ..
يبدأ دون أن تسير القاطرة !
رسائل للشمس ..
تعود دون أن تمس !
رسائل للأرض ..
ترد دون أن تفض !
يميل ظلي في الغروب دون أن أميل !
وها أنا في مقعدى القائط .
وريقة .. وريقة .. يسقط عمري من نتيجة الحائط
والورق الساقط
يطفو على بحيرة الذكرى ، فتلتوى دوائرنا
وتختفى .. دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقيقتي « رجاء » ماتت وهي دون الثالثة .

منفرد

من يفترس الحمل الجائع
غير الذئب الشبعان ؟
ارتاح الرب الخالق في اليوم السابع
لكن .. لم يسترج الانسان

صوت (٢) :

وحدها .. تساقط الدمعة من عين الليال
بعد أن علقها الوهم طويلا ..
وحدها ؛ سرعان ما ترشقها الأرض ؛
وينساها الرجال
شربوا قهوتها المرة ، والمذاق مازال يفتى !
والمصاييح تضاء !

ماتت وما يزال في دولا ب أمي السرى .
صندلها الفضى !

صدارها المشغول ، قرطها ، غطاء رأسها الصوفى
أرنبها القطنى !

وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت
فلا أراها تمسك الحائط .. عليها تقف !
أنسى بأنها ماتت ..

أقول . ربما نامت ..
أدور في الغرف .

وعندما تسألنى أمي بصوتها الخافت
أرى الأسى في وجهها المتقع الباهت
وأستين الكارثة !

(٣)

عرفتها في عامها الخامس والعشرين .
والزمن العتيد ..

ينشب في أحشائها أظفارَه الملوثة .
صلت إلى العذراء ، طوقت بكل صيدلية
تقلب بين الرجال الخشنين !
.. وما تزال تشتري اللفائف القطنية !

.. ما تزال تشتري اللفائف القطنية !

....

وحين ضاجعت أباها ليلة الرعد
تفجرت بالخصب والوعيد
واختلجت في طينها بشاره التكوين !
لكنها نادت أباها في الصباح ..
فظل صامتا !
هزته .. كان ميتا !!

(٤)

من شرفتى كنت أراها في صباح العطلة الهادئ
تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء
ثياب طفلها ، ثياب زوجها الرسمية الصفراء
قمصانه المغسولة البيضاء .
تنشر حولها نقاء قلبها الهائى
وهى تروح ونجىء .

....

والآن بعد أشهر الصيف الرديء
رأيتها .. ذابلة العينين والأعضاء
تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء

(٥)

حببتى فى لحظة الظلام ؛ لحظة التوهج العذبة
تصبح بين ساعدى جثة رطبة !
ينكسر الشوق بداخلى ، وتخفت الرغبة
أموء فوق خدها
أضرع فوق نهدها
أود لو أنفذ فى مسام جلدھا
لكن .. يظل بيننا الزجاج .. والغياب .. والغربة !
.....

و ذات ليلة ، تكسرت ما بيننا حواجز الرهبة
فاحتضنتنى .. بينا نحن نفوس فى قرارة التربة
تبعثرت فى رأسها شرائح الصورة والنجوم
واختلطت فى قلبها الأزمنة المشيم
لكنها وهى تناجينى
سمعتها تنادينى
باسم حبيبها الذى قد حطم اللعبة
حنفنا فى قلبها .. ندبة !!

بطاقة كانت هنا

(١)

المنزل الثالث بعد المنحنى
الطابق الأخير .
بطاقة صغيرة كانت هنا
وخيط ضوء كان من خلال بابها ينير !
الطابق الأخير ..
الوحشة السوداء فى الأعصاب تنغرس
يدى على الجرس :
سدى .. سدى !!
تراجعت فى أذنى رحلة الصدى
وأساقت الرماد من لفافتى !
كانت هنا حببتى
عيونها محابر الضياع
عام .. وعامان .. مداها الحزين لم يحف
صلاة هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمة كأن نورساً على المدى يرقأ
ها أنذا ..

يدّ تساندت على الجدار
وخطوة تهبط للقرار !

(٢)

حانوث خمار كئيب

يرسم في كوسه عرائس الأحلام ؛ في الزجاج
توهجت عند امتلائها ..

وبعد برهة .. عاودها الشحوب !

حببتي ملاح ابتسامة على يرقها الوهاج

« بنلوب » أين أنت يا حبيبتي الحزينة ؟

صيفان ملحدان في مخاطر الأمواج

كقبضة من العفونة ..

أعود ، كى يغتسل الحنين في بحيرة اللهب .

لكننا « بنلوب » ..

بطانة كانت هنا !

روحشة غريبة ، وثقب باب لم يعد يضيء !

وعنكبوت قد أتم — فوق ركنه — نسيجه الصوفى !

لقد أتمّ العنكبوت ما بدأت في انتظارك الوفى !
ما كان كان ..

لكننا ملاح الزجاج

لا تعرف السبان !

(٣)

الليل عند المنتصف

يا سائق السيارة العجوز .. قف

المنزل الثالث بعد المنحنى ..

لكنها يا صاحبي العجوز .. لم تعد هنا !

امض هناك حيث لا مكان

حيث البيوت دوغما عنوان

أوغل بنا في رحلة السراب

قافلة الغناء تستعد للمسير خلف دورة المضارب

لا تسأل الحادين عن وجهتها ، عن المآب

فهم هناك يرقبون أصبح النجوم

ضاعت معالم الطريق في الضباب .

حببتي لا بدّ أنها هناك

تسأل عن رواجل ارتدت من الغروب

لا ترتبك ، فقد يضع العمر في هنيهة ارتباك .

حبيبتى : لقد نجوئُ من « سلوم »
طفلك آتٍ من مدينة الخراب
الموت ما يزال مقعياً على الأبواب
الخاطئون .

هم الذين يرحلون
في هذه القافلة المسدودة الدروب
... ..
سدى .. سدى ..

تراجعت في أذننى رحلة الصدى
وأساقط الرماد من لفافتى .

ظماً .. ظا

جسدى : صخرة صهرتها الظهيرة .
حلقها يفتتُ ،

والبحرُ بعد ذراعين .. بُعد السماء !
فرسُ الموج تنفض أعرافها البيضَ ،
تعدو بمركبة الزرقة اللهيبة ،

لكنها تتحطم فوق الحواجز .. تهوى كسيرة !
أكشف الرأسَ تحت الرذاذِ ،

أمدُ يدي حاملاً كويى الفارغ الورقى ..
لتسبح فيه الفقاع ذات العيون الصغيرة
عطشٌ .. عطشٌ ، والنداء .

خنجر في الهواء !
حين صار فمى فضة : وقف البيغاء ..
عاريا .. نزعَت ريشه يدها المنقبة .
قالت الزنبقة :

« أرخ عينيك .. وافتحهما .. »
ثم .. لم ألفها في شجيرتها المطرقة !

شعرها طائر جرفته الرياح

شعرها والوشاح

وهي تعدو .. وما بيننا الصمت والقشعريرة !

كل من شربوا .. هربوا دون أن يدفعوا ثمناً للنعاء

رحلوا .. بعد أن قلبوا في التراب الاناء .

ووفدت على الحان : لم أر غير الحطام ..

وذبال المصاييح .. والقط يعث بالفضلات الأخيرة .

— سيدى : مُلكك الحزن والكبرياء

خيطة ؟ انقطع الخيط منك ،

وعصفوره قرّ دامي الجناح !

أمراء المدينة مروا إلى الصيد عند الصباح

الفريسة تجرى .. ولكن كلبك يُرخى الذئب

وهو يكتم في رثيته النباح !

في سكون المساء

كنت أنقر عين الشهيد المجسم فوق النصب

حين مرّ السكارى .. يدورون في حلقات الصخب

يبدأون الغناء :

« ياعيون النساء »

« أمطرى .. أمطرى »

« من تُرى تشتري خنجري »

« لتخبئه في حقيبتها .. »

« ثم تبقر بطن غريمها المومياء ؟ »

(. أيها الأشقياء !)

.. مرّ في التائه المغترب

فتمدد فوق الحشائش .. ملتصقاً بالرخام

وتوسد دمعته ، ثم نام .

(ظمىء الناس للدم في كل قلب محب ..

فاسقهم يا غلام !)

مرّ في غاسلو الطرقات

فأداروا خراطيمهم ، غسلوا النصب الحجري ،

.. وكنت على الدرجات

أناؤه مرتعشاً ، وثيابي تلصق في جسدى المضطرب

والرياح تهب ، وتصفعنى بالعواء .

... ..

أهلّى الغرباء .

عثروا لي مع الصبح ، أهدى بغيوبة الموت ،

محتقن الوجه ، خاوى الوفاض

يتفتت حلقي لقطرة حُب ..

غير أن الينابيع جفت بعينى ، والبحر غاض ..

ويهوى البياض !

الحزن لا يعرف القراءة

تأكلنى دوائرُ الغبار .
أدور فى طاحونة الصمب ، أذوب فى مكانيّ المختار
شيئاً فشيئاً .. يخفى وجهي وراء الأتعة
أعمدة البرق التي تطل من نوافذ القطار
كأنها سربُ إوزٍ أسود الأعناق
يطلق فى سكينتي صرخته المروعة
ويختفى .. متابعاً رحلته مع التيار !
(صوتك كان ؟)
أم نعاثُ الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين ؟
هذا الذى يشبك قلبي خاتماً .. تحت نعومة القفاز
حتى إذا اغتسلت — فى نهاية السهرة — من لزوجة الألفاظ
تجنيته على نافذة الحمام .. يستعيد ذكرياته ..
ويسترد الزمن الضائع بين الصورتين ؟!)

توقفى أينما الأشرطة البيضاء
فقد نرى الخيط الذى خلفه الثعبانُ فوق الصحراء

قد نرى عظام من ماتوا من الظمأ

قد نرى .. وقد نرى ..

كنا الأشياء ..

دب فيها نبضها الوحشئ ، نبضها المكبوث

نرو على وجهي دقيق دنيا ..

مَرَقًا من ورقات-الثوث .

شرع في العيون صولجانها المكسوء بالصدأ

في المقاهي ترفع الصوت ، وتعكي عن فضائح البيوت !

- في آخر العمر ، تصير الأذن عادة ..

سلة مهملات .. !

(جوارب السيدة المرتجة

ظلت تثير السخرية

وهي تسير في الطريق .

وحين شدتها : تمزقت ..

فانفجر الضحك ، ووارت وجهها مستخذية .

وهكذا أسقطها الصائد في شباك سيارته المفتوحة

فارتبكت وهي تسوى شعرها الطليق

وأشرقت بالبسمات الباكية !)

ooo

لقد فقدت مقعدى .. قبل أن يرتفع الستار

وانكسرت في داخلي الرغبة في استرداده ، الرغبة في الشجار

فكل شيء برتخي في لحظة التأهب المرتقبة

وتعبت الأيدي بأزرار قميصها المذهبة

وتنظفي فقاعة السخط .. بيسمة اعتذار !

شيئاً فشيئاً .. غاب عن قلبي خيط الضوء !

واللحظة الملتببة !

والنشوة الأولى التي تشد الظهر ..

حين يدق سمعنا إيقاع خطو امرأة مقتربة !

وضحكة العذراء عندما يرشها رذاذ البحر !

والألم الذي يهضرنا لطفلة عرجاء !

والدفء في استغراق كهل جالس ، يحل في هدوء ..

مسابقات الكلمات .. !!

ooo

رءوسنا تسقط .. لا يسندها ..

إلا حواف الياقة المنتصبة !

فارحم عنائي أيها الألم ..

واسند حطامي المنهار .

بكائية الليل والظهيرة

- ١ -

في كل ليل ..

تخلع الذكرى ملابسها المغيّرة القديمة ،

تستحم برششات الضوء ؛ تفصل فيه ، وعشاء الطريق

وتسترد نضارة الألوان .. والمرح العديم .

نديانة .. كالظل ، تخلع حُفها المبلول ،

تستلقي جوارى في الظلام ؛ تضىء بشرتها :

برائحة التوغل في الحقول ..

برعشة القمر المورجج في مرايا النيل ..

بالقطرات تلمع في منابت شعرها المحلول ..

بالنبض الخجول .. يرف في استدفائها ..

باللغة الغناء في الصوت الرخيم

.. وذراعها يلتف : يرتعش التوهج تحت لمسته .

وتقلع آخر السفن المقدسة المضيفة من مرافئها ؛

تشق النهر ؛ تنثر ما تبقى من رمادى :

فوق أذرعة الحريف البائسات .. فتكتسى ،

فوق الشفاه اليابسات .. فترتوى ،

فوق المروج .. فتنتوى في الليل موسيقى الجنادب ،

في الحظائر ... يهدأ المهرُ الحرون ،

على مناقير الطيور .. فتقطع الأفراخ من توت الغناء الحلو

في عقم السماء .. فتنبض البشرى : رتعد الغيوم .

يا دقة الساعات

هل فاتنا .. مافات ؟

ونحن مازلنا ..

أشباح أمنيّات

في مجلس الأموات ؟!

- ٢ -

فاض النهارُ بنا ، فمزق عن تصوفنا معاطفنا ،

وألقانا على أعتاب مملكة التهمة ، والذباب يطنُّ ،

والكلمات : أقداح مكسرة الحواف ..

إذا لثمنها .. تجرّحت الرؤى !

والصمت : قضبان محمّاة على وهج البكاء .

(فاض الاناء ، وعامل البرق الصغير يدق باب الموت ؛

« — آوه ، وتسقط الشمس الصغيرة عن رداء النوم
تبكى المرأة الأفعى على كتف العشي ،
وتستزيد من البكائيات ، تلقم صدرها العارى يديه .
— لعله يبنى بها بعد الحداد ! —
تدير عينها اللتين تندتا .. فأذابتا بفتح الضلاء ؟)

كان الطريق يدير لحن الموت — كان جهنمى الصوت — :
فوق شرائط التسجيل ..
في أسلاك هاتفه المختل ..
في صرير الباب من صدأ الغواية ..
في أزيز مراوح الصيف الكبيرة ..
في هدير محركات الحافلات ..
وفي شجار النسوة السوقى في الشرفات ..
في سأم المصاعد ..
في صدى أجراس إطفائية تعدو .. مصلصلة النداء .
(.. كوفى إذن ما شئت :

ساقطة تدور على مواخير الموانئ ،
وجه راهبة تضاجع صورة العذراء ،
أماً تأكل الأطفال ،

كوفى أى شيء — فيه نفوس خبزنا الحجري — ملتهب
الدماء !)

ندم الغبار يلح فوق وجوهنا ،
ونلوذ بالجدران نحفر فوقها أسماءنا .. لكنها تنفتت !
الجدران وهم ..
والرجال الملققون على مساحة صفحة الإعلان ،
والصور الثمينة في المعارض ، والنقوش على المعابد ،
والوسام العسكري لأبطال الشهداء ،
والزهو الذى يندس في رحم النساء .
.. تلك المرأة :
تمت جلسات شاي العصر ..
تمت انتعاشتنا بلسع الماء في حمامنا الصيفي —
تمت البراءة في تساؤل طفلنا من أين جاء !)

يا آخر الدقات
قولى لنا .. من مات .
كى نحتسى دمه
ونختم السهرات

ماذا تخبىء في حقيبتك العتيقة .. أيها الوجه الصفيق
أشهادة الميلاد ؟

أم صك الوفاة ؟

أم التهمة تطرد الأشباح في البيت العتيق ؟

ماذا تخبىء أيها الوجه الصفيق ؟!

ماذا تخبىء أيها الوجه الصفيق ؟!

(١٩٦٦)

أشياء تحدث في الليل

« إلى صلاح حسين .. »

رخاوة النعاس تغمر المسافرين في قطار الليل .

.. وفي حقول قرية بعيدة

شق السكون — فجأة — غواء ذئب

وانعقد الحليب في الضروع

وانطلق رصاصة :

فكفت الأشياء — بعدها — عن الوجيب ..

هنيئة ، ثم استعادت نبضها الرتيب ..

وكانت الليلة .. لا تزال مقمرة !

(كان النشيد الوطني يملأ المذياع منبهاً برامج المساء

وكانت الأضواء تنطفئ ..

والطرقات تليس الجوارب السوداء

وتغمر الظلال روح القاهرة .)

والدم كان ساخناً يلوث القضبان

هذا دم الشمس التي ستشرق ، الشمس التي ستغرب ،

الشمس التي تأكلها الديدان !

دُم القَتِيل أَحْمَرُ اللَّوْنِ ،

دَم القَتِيل أَخْضَرُ الشَّعَاعِ

خِيطٌ عَلَيْهِ تُنْشَرُ الدَّمُوعُ .. كَيْ تَحْفَ فِي أَشْعَةِ الصَّبْحِ

(وَكَانَ مَبْنَى الْإِتِّحَادِ صَامِتاً .. مَنْطَفِئَةً الْأَضْوَاءُ

تَسْرِي إِلَيْهِ مِنْ عَيْرٍ « هِيلْتُونُ القَرِيبُ ..

أَغْنِيَةً طَرْدُوبُ !)

وَكَانَ وَجْهَهُ النَّبِيلُ مَصْحَفاً عَلَيْهِ يُقْسَمُ الْجِيَاعُ

وَكَانَتِ الذَّرَاعُ ..

فَارَعَةً ، كَأَنَّ مَحْرَأَةً يَشُقُّ الْأَرْضَ !

كَانَتِ الذَّرَاعُ ..

ضَامِرَةً .. كِبْذَرَةُ الْقَمْحِ

ضَامِرَةً كَالسَّنَةِ الْأُولَى الَّتِي تَنْبُثُ فِي فَمِ الرُّضِيعِ !

(وَكَانَتِ الْمَطَابِيعُ السُّودَاءُ تُلْقَى الصَّحْفَ .. الْبَيْضَاءُ

وَصَاحِبَانِ فِي تَرَامِ الْعُودَةِ الْكُسُولِ

يَخْتَصِمَانِ فِي نَتَائِجِ الْكَرَةِ .

وَفِي طَرِيقِ الْهَرَمِ الطَّوِيلِ .

تَبَادَلَتِ سَيَارَتَانِ — كَادَتَا فِي اللَّيْلِ أَنْ تَصْطَلِمَا —

(السَّيَّابُ !)

وَفِي الصَّبَاحِ ، وَالنَّشِيدُ الْوَطَنِيُّ يَمَلَأُ الْأَسْمَاعَ

كَانَ قَرَّاشُ الْحَقْلِ يَبْدَأُ النَّشِيدَ

وَكَانَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْقُرَى .. جَنَائِزَةً الْإِبْقَاعِ

وَرِحْلَةً الْمَوَالِ فِي الضَّلُوعِ تَفْرُدُ الْقُلُوعَ :

« أَذْهَمَ مَقْتُولٌ عَلَى كُلِّ الْمَرْجُوحِ »

« أَذْهَمَ مَقْتُولٌ عَلَى الْأَرْضِ الْمَشَاعِ »

... ..

وَكَانَ وَجْهَهُ النَّبِيلُ مَصْحَفاً ..

عَلَيْهِ يُقْسَمُ الْجِيَاعُ !

العشاء الأخير

بكائية :

أعطني القدرة حتى ابتسم ..
عندما ينغرس الخنجر في صدر المَرَح
ويدب الموت ، كالقنفذ ، في ظل الجدار
حاملاً مبخرة الرعب لأحداق الصغار .
أعطني القدرة .. حتى لا أموت .
منهك قلبي من الطرق على كل البيوت
علني في أعين الموتى أرى ظل ندم !
فأرى الصمت .. كمصفور صغير
ينقر العينين والقلب ، ويعوى ..
في ثنايا كل قم

- ١ -

« الرياح » اختبأت في القبو ؛ حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشقة .

ووقفنا نحرس الباب ، ونحصى الأزقة
بيننا خيل الممالك تدق الأرض بالخطو الجموح
يقتفون الأثر
يسألون الدرب عن خطوة ريح فيه ؛ عن أية ريح ! .
فنغض البصر !

ومضوا ، والسنيك المجنون يهوى ، فيصب الشررا
وتواروا في الحوارى الضيقة .
.. نحن عدنا نعمل البشرى لها
وهفتنا باسمها

وهزنا كتفيها ، عبثا ..
وتدلت رأسها في راحتنا .. ميتة !
نحن كنا نحرس الباب ، ونحصى .. اللافنة
وهي — تعويدتنا — لم نعمها !

- ٢ -

الخيول المرسجة . !
صهلت ، لكن هل الفرمان فرسان كما كانوا .. غدا ؟
والمهاميز التي تحملها الأقدام .. غاصت في القلوب !
وسوف تلمت ..
فقد استأجرها النحاس .. تحمي هودجه !

وسيف قنعت أن تتدلى عند الاستعراض .. زينة !
وجائل ..

حملتها في دياجى الليل أضلاعُ المقاصل
ودقنا نبلها المقهور في عام البكاء .
.. شبحُ الفرسان ما زال على وجه المدينة
صامتاً يأتي إذا جاء المساء
صامتاً ينفذ أطراف الرداء
ويمد الجسدا ..

فيمد الخوف في الليل يدا !
ثم يمضي ، يحمل الأكفان ، يسرى في الدروب
يحمل الأكفان أثواب ركوب !
والمهاميز التي تحملها الأقوام .. غاصت في القلوب !

- ٣ -

التحيات « مساء الموت » ياقلبي
فلا تلق التحية

— من ترى مات ؟
— أنا ..
— أنت !
— أجل .

— أنت لا تملك يوماً أن تموت .
— الحمامات لوث أعناقها ..
والنوى حتى لسانى بالرطان
— أنت لا تعرف من أنت ..
— أنا :

منذ أن مات ألى ..
كل من تعشقه ألى الثرىة ..
كل من تعشقه ألى : أب لى فى العباد !
— ربما « أحس » ربته امرأة .
— .. ذهبُ الشمس العجوز انصهرا
وهوى فوق نفايات الثرى
وأنا أبكى على تل الرماد !
يفتح الخلب أجفان العيون
لترى .. لكن ترى ماذا ترى ؟

(ساعة الحائط فى معبد « هاتور » .. انتهت دقائقها
وانتهت « طروادة » البكر .. على وهم الحصان !)
— .. أنا « أوزوريس » صافحت القمر
كنت صيفاً ومضيفاً فى الويحه
حين أجلس لرأس المائدة
وأحاط الحرس الأسود لى

عندما يتلعب (الكورنيش) أضواء الغروب
تسعل الظلمة فيه والبرودة
يحمل الجوع إلى العار .. وليد
كلمات ..

ثم تنسل من البرد .. لدفع العربات .
والمصاييح : شطايا قمر .. كان يضيء
حطمت قبضة الطاووس فوق الطرقات
ثم أهدته إلى النسوة .. كي يصلبه فوق الصلور .
يتباهين به .. وهو رفات !
كلمات .. كلمات ..

ثم تنسل من البرد لدفع العربات .
وأنا « يوسف » محبوب « زليخا »
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا .. قمرا
(قمراً كان لقلبي مدفاة)
ولكم جاهدت كي أخفيه عن أعين الحراس ،

فتطلعت إلى وجه أخى ..

فتغاضبت عنه .. مرتعدة !

أنا أوزوريس ، واسيت القمر
وتصفحت الوجوه ..

وتنبأت بما كان . وما سوف يكون ؟
فكسرت الخبز ، حين امتلأت كأسى من الخمر القديمة
قلت : يا أخوة ، هذا جسدى .. فالتهموه
ودمى هذا حلال .. فاجرعوه !
خبأ المصباح عينيه .. بأهداب جناحيه ..
لكى تخفى الجريمة
وتشتى الضوء من حد الخناجر !

— ربما أحيالك يوماً دمع « ايزيس » المقدس
غير أنا لم نعد ننجب ايزيس جديدة
لم نعد نصغى الى صوت النشيج
ثقلت آذاننا منذ غرقنا فى الضجيج
لم نعد نسمع إلا .. الطلقات !
(يفرض الرعب الطمأنينة فى ظل المسدس ..)
— الطمأنينة فى ظل الحداد !
— سيدى .. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات
بيد تضغط ثقب الجرح ،

ربما نُور في الظلمة برهة .
غير أنى كنتُ جائع
وأنا الآن فقدتُ القمر .

.... ..

جائع يا قلبي المعروض في سوق الرياء
جائع .. حتى العياء
ما الذى آكله الآن إذن ..
كى لا أموت ؟

(ديسمبر ١٩٦٣)

عن كل العيون الصديقة
.. كان في الليل يضىء !
حملوني معه للسجن حتى أطفئه
تركوني جائعاً بضع ليال ..
تركوني جائعاً ..

فترأى القمرُ الشاحب — في كفى — كعكة !
وإلى الآن .. بحلقي ما تزال ..
قطعةً من حزنه الأشيب .. تُدمنيني كشوكة !

° ° °

أعطنى القدرة حتى أبتسم ..
فشعاع الشمس يهوى كخيوط العنكبوت
والقناديل تموت
قدمى تلتمس السلَّمة الأولى لكى أصدع فوقاً
ويدى تلتمس الحاجز إذ أخشى السقوط
كيف أبقى ؟

عفن الموتى ؛ وأطياب الخنوط
نكهة تكسو فناء البيت ، تسرى في دمي عرقاً فريقياً .
.. منهكٌ قلبي من الظلمة ، إني لا أرى
آه لو لم ألتهمه — القمر الشاحب — لو ..

حديث خاص مع ابي موسى الأشعري

[حاذيت خطو الله ، لا أمامه ، لا خلفه ...]

- ١ -

.. إطار سيارته ملوث بالدم !

سار .. ولم يهتم !!

كنت أنا المشاهد الوحيد

لكنني .. فرشت فوق الجسد الملقى جريدتي اليومية

و حين أقبل الرجال من بعيد ..

مزقت هذا الرقم المكتوب في وريقة مطوية

وسرت عنهم .. ما فتحت القم !!

ooo

(حارب في جريهما

وعندما رأيت كلاً منهما .. متهما

خلعت كلاً منهما !

كي يسترد المؤمنون الرأي والبيعة

.. لكنهم لم يدركوا الخدعة !)

ooo

حين دلفت داخل المقهى

جردتى النادل من ثياب

جردته بنظرة ارتياح

بادلته الكرها !

لكنني منحته القرش : فزين الوجها ..

ببسمه .. كلبية .. بلها ..

ثم رسمت وجهه الجديد .. فوق علبه النقاب !

- ٢ -

رأيهم ينحدرون في طريق النهر ..

لكي يشاهدوا عروس النيل — عند الموت — في جلوتها

الأخيرة

واغترطوا في الصلوات والبقاء .

وجئت .. بعد أن تلاشت الفقايع ، وعادت الزوارق

الصغيرة

رأيهم في حلقات البيع والشراء

بقايضون الحزن بالشواء !

.. تقول لي الأسماك

تقول لي عيونها الميتة القريرة :

ان طعامها الأخير .. كان لحماً بشرياً ..

قبل أن تحرفها الشباك !

يقول لى الماء الحبيسُ فى زجاج الدورق اللماغ
ان كلينا .. يتبادلان الابتلاغ !
تقول لى تحنيطه التماسح فوق باب المنزل المقابل
إن عظامَ طفلةٍ .. كانت فراشَ نومه فى القاع !!

(خلعتُ خافى .. وسيدى .

فهل تُرى أحصى لك الشاماتِ فى يدي
لتعرفينى حين تُقبلين فى غدي
وتغسلين جسدى
من رَغَوَاتِ الزَّيْدِ !)

فى ليلةِ الوفاء ..

رأيتها — فيما يرى النائم — مُهَرَّةً كسلى
يسرجُها الخوذى فى مركبةِ الكراءِ
يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو .. ولا تسير !
وعندما ثرث .. وأغلظتْ له القولا ..
دارت برأسها ..
دارت بعينها الجميلتين ..

رأيتُ فى العينين : زهرتين

تنتظران قبله . من نخلةٍ هيضَ جناحُها .. فلم تُعد تطير !
.. رأيتها — فيما يرى النائم — طفلةٌ .. حبل !
رأيتها .. ظلا !

وفى الصباح : حينما شاهدتها مشدودةً إلى الشراغ
ابتسمتُ ، ولَوَحَتْ لى بالذراع
لكنتى : عَثُرْتُ فى سيرى !

رأيتنى .. غيرى !
وعندما نهضتُ : أَلْقَيْتُ عليها نظرةَ الوداعِ
كأننى لم أرها قبلا !
فأَطَرَقَتْ خجلى ..
ولم تُقَلْ لى رأيتها .. ليلا !

- ٣ -

خرجتُ فى الصباح .. لم أحمل سوى سجاثرى
دسمتها فى جيبِ رِيقِ الرماديةِ
فهى الوحيدة التى تمنحنى الحبَّ .. بلا مقابل !

رؤيا :

(ويكون عام .. فيه محترف السنايل والضروع
تنمو جوافرنا — مع اللعنات — من ظمأ وجوع
يتزاحف الأطفال في لعق الثرى !
ينمو صديد الضمخ في الأفواه ،

في جذب العيون .. فلا ترى !
تساقط الأقرط من أذان عذراوات مصر !
ويعوت ثدى الأم .. تنهض في الكرى
تطهو — على نيرانها — الفس الرضيع !!)

ooo

حاذيت خطو الله ؛ لا أمامه .. ولا خلفه
عرفت أن كلمتي أثقة ..
من أن تنال سيفه أو ذهبه .

(حين رأت عيناى ما تحت الثياب : لم يعد يثرى !)
قلبت — حيناً — وجهي العملة
حتى إذا ما انقضت المهلة

ألقيتها في البر .. دون حيلة !
وهكذا .. فقدت حتى حلمه وعظبة .

(عيناك : لحظنا شروق
أرشف قهوى الصباحية من بئس المحروق

وأقرأ الطالع !

وفي سكون المغرب الوادع
عيناك ، يا حبيبتى ، شجرتا برقوقي
تجلس في ظلهما الشمس ، وترفو ثوبها المفتوح
عن فخذاها الناصع !)

- ٤ -

.. وستبطين على الجموع
وترفرقن .. فلا تترك عيولهم .. خلف الدموع
تتوقفن على السيوف الواقفة
تسمعين المهمات الواجفة
وسترحلين بلا رجوع !
... ..

ويكون جوع !
ويكون جوع !

(مارس ١٩٦٧)

من مذكرات المتنبى

(في مصر)

° ° أكره لون الخمر في القنينة
لكننى أدمتها .. استشفاء .
لأننى منذ أتيت هذه المدينة
وصرتُ في القصور بيغاء :
عرفتُ فيها الداء !

° ° أمثل ساعة الضحى بين يدي كافور
ليطمئن قلبه ؛ فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير !
أبصر تلك الشقة المثقوبة
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوقة
.. أبكى على العروبة !

° ° يومئذ ؛ يستشدينى : أنشده عن سيفه الشجاع
وسيفه في غمده .. يأكله الصدا !
وعندما يسقط جفناه الثقيلان ؛ وينكفى .
أسير مثل الخطي في ردهات القصر

أبصر أهل مصر ..

ينتظرونه .. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع !
.. جاريتى من حلب ، تسألنى « متى نعود ؟ »
قلت : الجنود يملأون نقاط الحدود
ما بيننا وبين سيف الدولة .

قالت : سئمت من مصر ، ومن رخاوة الركود
فقلت : قد سئمت — مثلك — القيام والقعود
بين يدي أميرها الأبله .

لعت كافورا

وغئت مقهورا ..

° ° « حَوْلَةٌ » تلك البدوية الشموس

لقيتها بالقرب من « أريحا »

سوية ، ثم افترقنا دون أن نبوحا

لكنها كل مساء في خواطرى تجوس

يفتر بالشوق وبالعتاب ثغرها العبوس

أشم وجهها الصبوحا

أضم صدرها الجموحا !

... ..

سألت عنها القادمين في القوافل

فأخبروني أنها ظلت بسيفها تقاتل ..

في الليل تجاز الرقيق عن خيائها
حين أغاروا ، ثم غادروا شقيقها ذبيحا
والأب عاجزا كسيحها

واختطفوها ، بينا الجيران يرنون من المنازل
يرتعدون جسدا وروحا
لا يجرؤون أن يغثوا سيفها الطريحا !
... ..

(ساءلني كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة
شريدة .. كالقطة

تصيح « كافوراه .. كافوراه .. »

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية
تجلد كي تصيح « واروماه .. واروماه .. »
.. لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن !

° ° في الليل ؛ في حضرة كافور ؛ أصابني السأم
في جلستي ثمت .. ولم أتم
حلمت لحظة بكا

وجندك الشجعان يهتفون : سيف الدولة .

وأنت شمس تختفي في هالة الغبار عند الجولة
منقطياً جوادك الأشهب ، شاهراً حسامك الطويل المهلكا
تصرخ في وجه جنود الروم

بصيحة الحرب ، فسقط العيون في الحلقوم !
تخوض ، لا تبقى لهم إلى النجاة مسلكا
تهوى ، فلا غير الدماء والبكا
ثم تعود باسماً .. ومنهكا

والصبية الصغار يهتفون في حلب :

« يا منقذ العرب »

« يا منقذ العرب »

حين تعود .. باسماً .. ومنهكا

حلمت لحظة بكا

حين غفوت

كنتني حين صحوت :

وجدت هذا السيد الرخوا

تصدر البهوا

يقص في ندمانة عن سيفه الصارم

وسيفه في غمده يأكله الصدا !

وعندما يسقط جفناه الثقيلان ، وينكفي ..

تقليق على ما حدث

يتسم الخادم .. !
.. تسألني جاريتي أن أكرى للبيت حرّاساً
فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع
فقلت : هذا سيفي القاطع
ضعيه خلف الباب . متراساً !
(ما حاجتي للسيف مشهوراً
ما دمت قد جاورت كافوراً ؟)
.. « عيد بأية حال عدت يا عيد ؟
بما مضى ؟ أم لأرضي فيك تهويد ؟
« نامت نواظير مصر » عن عساكرها
وحاربت بدلاً منها الأناشيد !
ناديت : يا نيل هل تجري المياه دماً
لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

(حزيران ١٩٦٨)

في انتظار السيف ١

وردة في عروة السرّة :

ماذا تلدين الآن ؟

طفلاً .. أم جريمة ؟

أم تنوحين على بؤابة القدس القديمة ؟

عادت الخيل من المشرق ،

عاد (الحسنُ الأعصمُ) والموتُ المغيرُ

بالرداءِ الأرجواني ، وبالوجه اللصوصي ،

وبالسيف الأجيرُ

فانظري تمثاله الواقف في الميدان ..

(يهتُّ مع الريح . !)

انظري من فرجة الشباك :

أيدي صبيّة مقطوعة ..

مرفوعة .. فوق السنان

(.. مُردِّفاً زوجته الحُبلى على ظهر الحصان)

أنظري خيطَ الدم القاني على الأرض :

« هنا مرّ .. هنا »

فَانْفَقَاتْ تَحْتَ تُحْطَى الْجَنْدِ ..

عيونُ الماءِ ،

وَاسْتَلَقْتُ عَلَى التَّرْبَةِ .. قَامَاتُ السَّنَابِلِ .

آه .. هَا نَحْنُ جِيَاعُ الْأَرْضِ نَصْطَفُ ..

لَكِي يُلْقَى لَنَا عَهْدُ الْأَمَانِ .

يَنْقُشُ السَّكَّةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يُلْقَى خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يَرْقُ مِنْبَرُ الْمَسْجِدِ ..

بِالسَّيْفِ الَّذِي يَبْتَرُّ أَحْشَاءَ الْخَوَامِلِ .

هَذَا قَدَرُ الْمَهْزُومِ :

لَا أَرْضَ .. وَلَا مَالَ .

وَلَا بَيْتَ يَرُدُّ الْبَابَ فِيهِ ..

دُونَ أَنْ يَطْرُقَهُ جَايٍ ..

وَجُنْدِي رَأَى زَوْجَتَهُ الْحَسَنَاءَ فِي الْبَيْتِ الْمَقَابِلِ (

أَنْظُرِي أُمْتُكَ الْأَوَّلَى الْعَظِيمَةَ

أَصْبَحَتْ : شُرْذِمَةٌ مِنْ جُثَى الْقَتْلِ ،

وَشَحَّاذِينَ يَسْتَجِدُّونَ عَطْفَ السَّيْفِ ،

وَالْمَالُ الَّذِي يَنْتَهَرُهُ الْغَازِي ..

فَيَهْوَى مَا تَبَقَّى مِنْ رِجَالٍ ..

وَأَرْوَمَةٍ .

أَنْظُرِي ..

لَا تَفْزَعِي مِنْ جُرْعَةِ الْخِزْيِ ،

انْظُرِي ..

حَتَّى تَقِيَّيَ مَا بِأَحْشَائِكَ ..

مِنْ دَفْعِ الْأُمُومَةِ .

° ° °

تُقْفَرُ الْأَسْوَاقُ يَوْمَئِذٍ ..

وَتَعْتَادُ عَلَى « النَّقْدِ » الْجَدِيدِ

تشتكى الأضلاعُ يومين ..

وتعتاد على السوط الجديد

يسكت المذياعُ يومين ..

ويعتاد على الصوت الجديد

وأنا منتظرُ .. جنب فراشك

جالسٌ أرقب في حَمَى ارتعاشك —

صرخةَ الطفل الذى يفتح عينيه ..

على مرأى الجنود !

(يوليو ١٩٧٠)

فقرات من كتاب الموت

- ١ -

كل صباح ..

أفتح الصنبورَ في إرهاب

مستلماً في مائه الرقراق

يسقط الماء على يدي .. دَمًا !

... ..

وعندما ..

أجلس للطعام .. مُرغماً :

أبصر في دوائر الأطباق

جماجما ..

جماجما ..

مفغورة الأفواه والأحداق !!

- ٢ -

أحفظ رأسي في الخزائن الحديدية

وعندما أبدأ رحلتى النهارية

أحمل فى مكانها .. مذابحا !

(أنشر حولى البيانات الحماسية .. والصداعا)

وبعد أن أعود فى ختام جولتى المسائية

أحمل فى مكان رأسى الحقيقة :

.. فتينة الخمر الزجاجية !

- ٣ -

أعود مخموراً إلى بيتى ..

فى الليل الأخير

يوقفتى الشرطى فى الشارع .. للشبهة

يوقفتى .. برهة !

وبعد أن أرسوهُ .. أوصل المسير !

...
توقفتى المرأة ..

فى استنادها المثير

على عمود الضوء :

(كانت مصلقات « الفتح » و « الجبهة » ..

تملاً خلف ظهرها العمودا !)

١٩٨

تسألنى لفافة :

(لم يترك الشرطى ..

واحدة من تبغها الليلية

تسألنى إن كنت أمضى ليلتى .. وحيدا

وعندما أرفع وجهى نحوها ::

سعيدا

بصر خلف ظهرها : شهيدا

معلقا على الحائط ، ناصع الجبهة

نغوص عيناه .. كنتصلي رصاصيين

أصرخ من رهافة الحدين

.. أمضى بلا وجهة !!

- ٤ -

وجأتى الخريف فى نيسان

وطائر السمان ..

حط على شواطئ البحر الشمالية

علبت من تحبه نفسى .. قبيل النوم

لم أجذ .. إلا عذاب الصوم

طلبتُ من تبعه نفسى
(فى الظل والشمس)
فلم أجد .. نفسى !!
... ..

وها أنا خلف النوافذ الزجاجية
أرقبُ عند المغرب الشاحب :
طائرئى الغائب !

(١٩٦٩)

الحداد يليق بقطر الندى

جوقة :

قَطُرُ الندى .. يا خال
مُهَرَّ بلا غَيَال

... ..

قَطُرُ الندى .. يا عين
أُميرةُ الوجهين

.. ..

صوت :

كان (خمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق
وكانت المغنيات والبنات الحور
يطأن فوق المسك والكافور .
والفقراء وال دراويش أمام قصره المعلق
ينتظرون الذهب المبدور
ينتظرون حفنة صغيرة .. من نور .

جوقة :

قطر الندى .. يا عين

أميرة الوجهين

..

قطر الندى ..

قطر الندى ..

(استمرار) :

تعب في سيناء

تعب في مضارب البدو ، وفي نضوب الماء

عند انتصاف الصيف .

تعلم بالوصول للأردن ..

ترخي أعتة الخيول حول مائه ..

تغسل وجه الحزن

صوت :

هودجها يخترق الصحراء

تسبقه الأنباء .

أمامها الفرسان ألف ألف

وخلفها الخيضان ألف ألف

تعب في سيناء ..

جوقة :

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

قطر الندى ..

قطر الندى ..

الصوت والجوقة :

قطر الندى .. يا ليل

تسقط تحت الخيل

..

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

..

.. كان (خمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق

في نومة القيلولة .

فمن ترى ينقذ هذه الأميرة المغلولة ؟

من يا ترى ينقذها ؟

من يأتري يتقدّها ؟

بالسيف ..

أو .. بالحيلة ؟!

صفحات من كتاب الصيف والشتاء

١ - حمامة

(١٩٦٩)

حين سَرَّتْ في الشارع الضوضاء
واندفعت سيارة مجنونة السائق
تطلق صوت بُوقها الزاعق
في كبد الأشياء :
تَفَزَعَتْ حمامة بيضاء
(كانت على تمثال نهضة مصر ..
تَحْلُمُ في استرخاء)

.. .. .

طارَتْ ، وحطَّت فوق قُبَّة الجامعة النحاس
لاهئة ، تلتقط الأنفاس
وفجأة : دندنت الساعة
ودقت الأجراس
فحلَّت في الأفق .. مُرتاعة !
.. .. .

أيتها الحمامة التي استقرت

فوق رأس الجسر
(وعندما أدار شرطى المرور يده ..

ظننته ناطوراً .. يصدّ الطير

فامتلات رعباً !)

أيتها الحمامة التنبى :

دورى على قباب هذه المدينة الحزينة

وأنشدى للموت فيها .. والأسى .. والذعر

حتى نرى عند قلوب الفجر

جناحك الملقى ..

على قاعدة التمثال في المدينة

.. وتعرفين راحة السكينة !

٢ - ساق صناعية

في الفندق الذي نزلت فيه قبل عام

شاركني الغرفة

فأغلق الشرفة

وعلق (السترة) فوق المشجب المقام

وعندما رأى كتاب (الحرب والسلام)

بين يدي : اربد وجهه ..

ورف جفنه .. رفة

فغالب الرجفة

وقص عن صبيّة طارحها الغرام

وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام

فلم تطلق .. ضغفة

ولم يجذ — حين صحا — إلا بقايا الخمر والطعام !

.. .. .

ثم روى حكاية عن الدم الحرام

(.. الصحراء لم تطلق رشفة ..

فظل فيها ، يشتكى رسعه صيفة ..)

وظل يروى القصص الحزينة الختام

حتى تلاشى وجهه

في سحب الدخان والكلام

وعندما تخرج الصوت به ، وطالت الوقفة

أدرك رأسي عنه ..

حتى لا أرى دمعته العفة

ومن خلایا جسدى : تفصّد الحزن ..

وبلّ المسام

.. ..

وحين ظنّ أنني أنام

رأيت يخلع ساقه الصناعية في الظلام

مُصعّداً تهيداً ..

قد أحرقت جوفه

٣ - شتاء عاصف

كان (ترام الرّمْل) ..

متّجهاً ، كامراً في أخريات الحمل

وكنّ في الشوارع

أرى شتاء (الغضب الساطع)

يكسح الأوراق والمعاطفا

وكانت الأحجار في سكونها الناصع

مفسولة بالمطر الذي توقفا

وكان في المدياع

أغنية حزينة الإيقاع

عن (ظالم لاقب منه ما كفى ..)

قد علّمه كيف يجفو .. فجفا)

جلست فوق الشاطئ اليابس

وكان موج البحر

يصفع خد الصخر

وينطوى — حيناً — أمام وجهه العابس .

.. وترجع الأمواج

تنطحه برأسها المُهتاج

ودون أن تكف عن صراعها اليأس .. !

ودون أن تكف عن صراعها اليأس .. !

مارس ١٩٦٩

تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات

- ١ -

قلت لكم مرارا

إن الطواير التي تمر ..

في استعراض عيد الفطر والجلاء .

(فتتف النساء في النوافذ انهارا)

لا تصنع انتصارا .

إن المدافع التي تصطف على الحدود ، في الصحارى

لا تطلق النيران .. إلا حين تستدير للوراء .

إن الرصاصات التي ندفع فيها .. ثمن الكسرة والدواء :

لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا ، وتقتل الصغار !

- ٢ -

قلت لكم في السنة البعيدة

٢١٠

عن تحطير الجندي

عن قلبه الأعمى ، وعن همته القعيدة

يخرس من يمنحه راتبه الشهري

وزيه الرسمي

يرهب الخصوم بالجمعجة الجوفاء

والقعقة الشديدة

كنه .. إن يحزن الموت ..

فداء الوطن المقهور والعقيدة :

فر من الميدان

وحاصر السلطان

واغتصب الكرسي

وأعلن « الثورة » في المذيع والجريدة !

- ٣ -

قلت لكم كثيرا

إن كان لابد من هذه الذرية اللعينة

يسكنوا الخنادق الحصينة

متخذين من مخافر الحدود .. دورا

لو دخل الواحد منهم هذه المدينة :

٢١١

يدخلها .. حميرا

يلقى سلاحه .. على أبوابها الأمانة

لأنه .. لا يستقيم مَرَحُ الطفل ..

وحكمة الأب الرزينة

مع المُسَدِّس المدلَّى من حزام الخصر ..

في السُّوقِ ..

وفي مجالس الشورى

° ° °

قلْتُ لكم ..

لكنكم ..

لم تسمعوا هذا العبث

ففاضت النارُ على الخيمِيات

وفاضت .. الجثثُ !

وفاضت الخُوداثُ والمدرَّعات

(سبتمبر ١٩٧٠)

مِيتة عَصْرِيَّة

- ١ -

فتح المذباغ .. واستلقى !

وكان القدحُ الساخن ..

في وحدته المستغرقة .

(.. يدخل الطيفُ الذي يهبط .. بغتة

يسكُتُ المذباغُ .. سكُتةٌ ...)

- (موجز الانبياء) ..

.. أَلْقَتْ يَدُهُ السَّيْجَارَةَ المحترقة

صرَّت النافذةُ المنغلقة

..

(.. يعبر الغرفة :

فوق الحائط الأزرقِ .. صورةُ

ظَلٍّ يَجْلُو تحتها خنجره .. مبتسما)

..

مَدَّ سَاقِيهِ ،

وكان الرعبُ في عينيه ..

صار الصوتُ والموتُ

عدواً واحداً

منقسماً !

• • •

ظل في مقعده ..

سار الترام

وهو في مقعده ..

كلَّت يدا بائعة الخبز الصغيرة

وهو في مقعده ..

كفَّ فحيحُ الصمتِ في المذياع ،

وانساب « السلام »

وهو في مقعده ..

— (موجز أنباء الصباح)

وهو في مقعده ..

... ..

في يديه سيجارةٌ ملتصقةٌ

وعلى الجانيظ .. صورة ١١

— من ذلك الهائمُ في البرية ؟

ينام تحت الشجرِ الملتفِّ والقناطر الخيرية ؟

— مولاي : هذا النيل ..

نيلنا القديم !

— أين تُرى يعملُ .. أو يقيمُ ؟

— مولاي :

كنا صبيّة نندسُ في ثيابه الصيفية

فكيف لا تذكُرُهُ ؟

وهو الذي يُذكرُ في المذياع والقصائد الشعرية ؟

— هل كان قائداً ؟

— مولاي : ليس قائداً .

لكنما السياحُ في مطالع الأعوام

يأتون كي يروه ..

— آه .. ويصوّرونه لكي يُشهرُوا بنا

بوجهه الباكي .. وكوفيته القطنية

.. تعالَ كي نودعه في ملجأ الأيتام .

— مولاي :

هكذا تحبُّ الصبايا .. والرعاةُ .. والأغنام

وَأُمُّ كَلْتُومٍ تَغْنَى لَهُ ..
فِي وَصَلَتِهَا الشَّهْرِيَّةُ !

— النَّيْلُ !

أَيْنَ يَا تُرَى سَمِعْتُ عَنْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟
أَلَيْسَ ذَلِكَ الَّذِي ..

كَانَ يَضَاجِعُ الْعَذَارَى ؟
وَيَحِبُّ الدَّمَ ؟

— مَوْلَايَ : قَدْ تَسَاقَطَتِ أَسْنَانُهُ فِي الْفَمِ
وَلَمْ يُعَدِّ يَقْوَى عَلَى الْحَبِّ .. أَوِ الْقُرُوسِيَّةِ
— لَا يَدُ أَنْ يَبْرَزَ لِي أَوْرَاقَهُ الشَّخْصِيَّةِ
فَهُوَ صَمُوتٌ !
يَصَادِقُ الرَّعَاغَ ..

يَهْطِلُ الْقُرَى ..
وَيَدْخُلُ الْبُيُوتَ ..

وَيَعْمَلُ الْعِشَاقَ فِي الزَّوَارِقِ اللَّيْلِيَّةِ

— مَوْلَايَ ؟ هَذَا النَّيْلُ .. !!
— لَا شَأْنَ لِي بِنَيْلِكَ الْمُسْتَرْدِّ الْمَجْهُولِ
أَرِيدُ أَنْ يَبْرَزَ لِي أَوْرَاقَهُ الرَّسْمِيَّةِ :

شَهَادَةُ الْمِيلَادِ .. وَالتَّطْعِيمِ .. وَالتَّاجِيلِ
وَالْمَوْطِنِ الْأَصْلِيِّ .. وَالْجِنْسِيَّةِ
.. حَتَّى يَمَارَسَ الْحُرِّيَّةَ !

— ٣ —

.. وَيُلْقِي الْمَعْلَمُ مَقْطُوعَةَ الدَّرْسِ ،
فِي نَصْفِ سَاعَةٍ :

(سَتَبْقَى السَّنَابِلُ ..
وَتَبْقَى الْيَلَابِلُ ..
تَغْرُدُ فِي أَرْضِنَا .. فِي وَدَاعَةٍ ..)
وَيَكْتُبُ كُلُّ الصِّغَارِ بِصَدَقٍ وَطَاعَةٍ :
(سَتَبْقَى الْقَنَابِلُ ..
وَتَبْقَى الرِّسَائِلُ ..
تُبْلَغُهَا أَهْلُنَا .. فِي بَرِيدِ الْإِذَاعَةِ)

(١٩٧٠)

• • •

هتَزْ قَرطُها الطويل ..
يراقص ارتعاشَ ظله ..
على تَلَفُّتَاتِ العُنُقِ الجميل
وعندما تَلْفُظُ بذَرِّ الفاكهة
وتطفئُ التِبَعَةَ في المنفضة العتيقة الطراز
تقول عنها : استرح !
والشفتان .. شوكتان !!

• • •

(تَبْقِيَنَ أَنْتِ : شَبَحًا يَفْصِلُ بَيْنَ الأخوين
وعندما يَفْجُرُ كَأْسُ الجعة المملوء ..
في يَدِ الكبير :

يَقْتُلُكَ المَقْتُولُ مرتين !
أَتَأْذِنُ لِي بِمَعْطَفِي
أُخْفِي بِهِ ..
عورةَ هَذَا القَبْرِ الغارقِ في البحيرة
عورةَ هَذَا المُتَسَوِّلِ الأمير

الوقوف على قدم واحدة !

كادت تقول لي « مَنْ أَنْتَ ؟ »

• • • • •

(.. العقبُ الأسودُ كان يلدغُ الشمسَ ..
وعيناها الشَّهِيَتَانِ تلمعان !)
— أَنْتَ ؟ !

لَكُنِّي رددتُ بابَ وجهي .. واستكنث
(.. عرفتُ أَنَّها ..
تنسى حزامَ حصرها .
في العريابِ الفارحة !

• • •

أَسْقَطُ في أنيابِ اللحظاتِ الدنسة
أَتَشَاغَلُ بالرشفةِ من كُوبِ الصمتِ المكسور
بمطاردةِ قَرَارِشِ الوهمِ المخمور
أَتَلَاشِي في الخيطِ الواهنِ :
ما بين شُرُوعِ الخنجرِ .. والرقبة
ما بين القلبيمِ العارية وبين الصحراءِ الملتبة

وهو يحاورُ الظلالَ من شجيرةٍ إلى شجيرةٍ
بطالعِ الكفِّ لعصفورٍ مُكسَّرٍ الساقين
يلقط حَبَّةَ العَيْنين

لأنه صدَّقَ — ذاتَ ليلةٍ مضتْ —
عطاءً فمكَّ الصغيرَ ..
عطاءً حُلْمكُ القصيرَ ..

رَبَاب

- ٩ -

جلستُ الأولى : وعيناكِ المليتانِ بالفضولِ ..
تُشَّشانُ عن بدايةِ الحديثِ ،

وابتسامه حُجُولُ ..

في شفتيكِ العذبتين ، وارتباكنا يطولُ ..
في لحظاتِ الصمتِ والظلمِ .

نُفِرتُ فوقِ مسندِ المقعدِ

قلْتُ ما يقالُ عن رداءةِ الطقسِ ،

تسمرتُ عيناى في استدارةِ اليافِةِ

في معطفكِ الجميلِ .

كان صوتُكِ المعنَى يتحسسُ الطريقَ في شرايينى ،

ويمسحُ الصداً

بكنتِ ألوى في رباطِ عُنُقى ،

أُرْبُتْ ظهرُ قلقي ،

أُمسحُ خيطَ القَرَقِ الضئيلِ .

صر : شرعاً في زجاجِ البابِ ،

نور الزخرف المنقوش في مفارش الموائد ،
الوردة .. وهى تنحنى في الكوب ..
شفها الذبول .

.. ..
ليلتها : عينيك هاتان المليتان بالفضول
طاردتان لحظة بلحظة ..

في دوران السلم الطويل
وفي سريري ظلنا تغنيان آخر الليل
وحين ضاق الصدر بالحنين .. وامتلا
رفرفتا حولي

فقلت .. قلت لهما كل الذى أردت أن أقول ..
(.. كنا جارين طويلا ..)

وخليج عيون خضري ترسو فيه
أشرعه الشوق
قلبي ما كاد يشب عن الطوق
حتى أبهر في عينها الواسعتين ..
برحلته الأولى

.. لكنى أشهداها - الليلة - تنكئ علي ..

كما كانت تنكئ علي !
سك في إصبعها خاتم الذهب
ر على جبينه بأناملها الرخصة .

.. ..
تهجرني الأحزان ؟

أشهد فانتنى تستدق ..
في أحضان القرصان ؟)

- ٢ -

بح وجهك المضىء .. يا رباب
مستطيل النور عندما يشع ..

في انفراج باب

ومحج اللفافة الأخيرة

سعة المناقض المزوقة

لسات اللوحة المعلقة

نورة الفرائش في السقف ،

وفي انغلاق الكتاب

ثوبان الثلج في الأكراب

في رئة الملاعق الصغيرة
في صمته المذيع برهة قصيرة
في ثنيات الظل في الثياب
في غيش النوافذ الصامت ..
بعد أن ينقشع الضباب .

• • •

(.. بالريح المقهورة
بالأمكنة المهجورة
بسنى الحب الغارب
بالقمر الشاحب
وبأعوامى الستة عشر
وبخصلة شتعر :
أقسم ألا يسقط قلبى فى ..
شرك الهدب الأسود .
ألا أفتح — يوماً هذا الباب الموحد !)
- ٣ -

كيف ضعفت في نهاية المطاف ؟

وارنحت في عينيك من عبثي ؟
وكل شيء حولنا يُعلل علينا أن نخاف ؟!
.. لكننى أنزع قلبى من نعومة البدء
ومن ليونة الدفء ..
وأحتنى — كالسلفاة — بالغلاف !!

فصل من قصة حب

لما حقية مدلاة ، وشعر عَجَرى !
(عرفتُ عنها القصص الكثيرة :
على أريكة القطار ..
ضاجعها اثنان ،
وخلف سائر الغارات فى الميدان .. فى الظهيرة .
.. وضاجعتها امرأة على البلاج الذهبى
وجسمها الخارج من محارة البحر ..
مُنْدَى بالألء الصغيرة !)

• • •

حين التقينا : لم تسل من أنت ..
أو من أين ؟!
وقبَلْتنى خلصة ونحن فى المترو ..

مُحاصرُن .. واقفين !

وقبلتنى وأنا أخرج مفتاحى ..

أمام غرفتى الفقيرة !

وقبلتنى .. حالماً أَغْلَقْتُ البابَ وراءَ ظهرها ..

لامعةَ العينين !!

• • •

لا نهْذُها (اليمامةُ التى تهم بانطلاقها)

ولا انحسارِ الثوبِ فوقِ ساقها

هو الذى حاصَرَنى فى الجسد — الجزيرة .

لكنه .. شَيْءٌ بها .. كأنه اليتيم ..

كأنه الفرار ..

ينوب ما بين ذراعى : فتهدأ السريرة

وتلتوى الأناملُ البيضاء حول كَتِفِي ..

كأنما نحن : الغريق .. والحطام الحَشِيشى !

تمسك لى ..

فى لحظة احتراقها ..

فى لحظة التخلُّى عن عناقها !

تمسك لى ..

حتى مع استرخاءة النوم القصيرة

اذنا انفلتُ من يديها

وهى فى استغراقها !!

وصار بيتى بيتنا معاً ، وصار ..

أرجوحةً وثيرة .

وصارت الألفَةُ ثوباً واحداً

نلبسه تحت جلودنا

فلا يبلى ..

ولا يلحقه الغبار !

عاريةً — إلا من الحب — تروح وتحبىء

يأتى غناؤها بصوتها الدافئ

وهى ترش الماء فى الحمام ،

أو .. جالسةً على الأريكة الأثيرة

وهى تُسَوِّى شعرها ،

أو .. وهى عند النار

تُعَدُّ فيها قهوةَ الإفطار

أو .. تمنح الرونقَ للأشياء

فى لمستها الخبيرة

تكوى المناديلَ الحريئة .. والتثورة

أو تمسح الغبارَ حول صورة !

الهجرة الى الداخل

أترك كل شيء في مكانه :
 الكتاب ، والقنبلة الموقوتة
 وقدح القهوة ساخناً ،
 وصيدلية المنزل ،
 واسطوانة الغناء .
 والباب مفعور الغيم ،
 .. الباب .. وعين القطعة الياقوتة .
 أترك كل شيء في مكانه ،
 وأعبر الشوارع الضوضاء
 مخلفاً خلفي : زحام السوق ..
 والنافورة الحمراء ..
 والهيكل الصخرية المنحوتة
 أخرج للصحراء !
 أصبح كلياً دامي الخالب
 أنبش حتى أجذ الجنة ،

وها أنا بعد رحيلها المفاجيء
 أعمى بلا بصيرة .
 فتشت عنها كل حانات المدينة الكبيرة
 وغرف الطلاب ..
 والمستشفيات ..
 والملاجيء ..
 لكنني لم أر غير الوحشة المريرة
 وذكرياتها المنثورة
 في البيت ، في مكانها ..
 تنتظر اليد الأميرة
 تنتظر الخيط .. الذي ينظم اللآلئ .

• • •

— كأسك !
 — حان موعد الاغلاق .
 — لم تبق الا قطرة أخيرة .
 — كأسك !
 .. لن تعيدها الأشواق !!

حتى أقضم الموت الذى يدنس التراب !
أدسُ فى الحفرة وجهى الشرة المحموم
تصبح بوقاً مصمتاً حول فمى المنكفىء المزموم
وصارخاً فى ربحم الأرض ..
أصبح : يا بساط البلد المهزوم ..
لا تسحب من تحت أقدامى ..
فتسقط الأشياء ..
من رفها السكّن فى خزانة التاريخ ،
تسقط المسّميات والأسماء !
أصرخ .. ليس يصل الصوت
أصرخ .. لا يجيب إلا عرق التربة والسكون والموت
ويستدير حول رأسى الطنين ،
ويلوم الهواء
أسقط واقفاً ..
وخائفاً .
أن يحمل الصدى ندائى للهوائيات ..
فوق أسطح البيوت
أن تفضى الرمال صوتى المضىء ،

صوتى المكبوت !
أبكى إلى أن يستدير الدمع فى الحفرة
أبكى .. إلى أن تهدأ الثرة
أبكى إلى أن ترسخ الحروف فى ذاكرة التراب
أعود ضالاً ..
أتبع الأسلاك ، والدم الركام ،
والدم المنساب
أبحث عن مدينتى التى هجرتها ..
فلا أراها !
أبحث عن مدينتى :
يا لرم العماذ
يا لرم العماذ
يا بلد الأوغاد والأعماذ
رُدّى إلى : صفحة الكتاب
وقدح القهوة .. واضطجعتى الحميمة
فيرجع الصدى ..
كأنه اسطوانة قديمة :
يا لرم العماذ
يا لرم العماذ

رُدِّي إليه : صهوة الجواذ

وَكُتِبَ السَّحَرِ ..

وبعضُ الخبزِ في زوَادَةِ السفرِ

فقلبه الذى انشطر

يرقد فوق زهرة اللوتس في المنفى ،

يطالع المکتوب

منتظراً حتى يفورَ الكوب

في يده ،

يدير فوق جسمه رداءه المقلوب

لكي يعود في مواسم الحصاد

أغنية .. أو وَرْدَة

للباحثين عن طريق العودة !

حكاية المدينة الفضية

- ١ -

كنتُ لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعى .

كنت لا أحمل إلا .. قلمي .

في يدي : خمسُ مرايا

تعكس الضوءَ (الذى يسرى إليها من دمي)

.. طارِقاً بابَ المدينة :

— « افتحوا الباب »

فما ردَّ الحرسُ

— « افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاً .. »

قيل : « كلاً »

.. .. .

أمطرى يا قبضة الزيد التي تُدعى سُحْبُ

أمطرى رغوتك الجوفاء في كوب الذهب

هذه الأسوار ما رَقَّتْ لدقائق الحزينة

وشعاعُ القبة الفضية الملساء يغلي ..

في مراياي الثمينة

آه لو أملك سيفاً للصراع

آه لو أملك خمسين ذراع :

لتسلمت — بإيمانى الهرقلى — مفاتيح المدينة

آه .. لكنى بلا حتى .. مؤونة !

• • •

أيها العشب الذى ينضج حُمى

إننى أنشدُ فى جنبك .. حلما

(.. واستكانت شفة الوهج على وجهى طويلا ..)

ربما يُفتح هذا الباب يوما

أيها العشب الذى ينضج حُمى

شمسنا مطفأة العينين .. دوما !

يا طريق التلّ (حيث القبة الملساء تبدو ..

صنماً ضخماً تحدى المستحيلا)

يا طريق التلّ :

ما زالت على جنبك آلاف النفايات ..

لسكان القباب المصمتة

من قمامات البقايا الميتة

وزجاجات جمود فارغة

وكلايب والفة

ورماذ ، وورق !

آه .. يا ذكرى الحنين المحترق

آه ، كم كئنا — كما كنت — نرثُ النور والشوق النبيل

وتهدجنا غناء ..

وتهدجنا بكاء ..

وتهدجنا .. فُضولا

ثم .. لم نلقَ من الحبّ عدا : باباً بخيلا !!

- ٢ -

فرقعتُ فى الصمت حولى عجلاتُ المركبة

— « أوقف الخيل »

أطلت :

— « من ترى أنت ؟ »

فأومأتُ بحبيبا

قالت : « اصعدُ »

— « آه يا ذات العيون الطيبة
كل شيء ينتهز

كل شيء في دمي .. لا يتحدّذ
أنا لا أملك حتى كلمات الشكر ..
حتى كلمات الشكر .. ولت !
— « أغريب ؟ »

قلت : ما عدت غريبا
بيتنا كان على ربوة نجمة

كم قرأنا فيه عن سحر ليلالك كثيرا
عن جبين يهب العمر تناهيد ورحمة
ورسّمتا وجهك المعبود فوق المنزل

وعلى صدر الربيع المقبل
وتعشقناك : حزنا أرجوانيا أميرا
وتعشقناك : شعرا كستنائيا غريبا
وتعشقناك : ثوبا جدلته الحور ..

من زهو المطر

وعشقنا فيك : حتى تحفك المجلوب من وادي القمر !
قالت : « اهدأ ..

سوف تحكي لي هناك .. »

وأشارت نحو قصر القبة المساء ،
ثم استطردت :

إنه مُلك أُنّى !
عندما كان (سليمان) وليا
لم يكن يملك هذا القصر ذا المليون باب
قبل مكتوب على جدرانه الماسية الزرقاء ..
أحلام شباب

قيل في الساحة نافورة خلد
وعلى الباب نقوش أثرية .

آه .. يا حراسه .. هذا أنا !!
إرفعوا الأيدي وأدوا لي التحية
ارفعوا المزلاج .. فالركب يسير
« يد مولاي » ..

ومدت يها (بدرُ البدور)

نصعد السلم : يا معراج ما كنت نبيا !
أنا في البللور حولي في السنة : ألف أنا
فامض يا معراجنا نحو الجنّاح
واعزفي يا جوقة الميلاد لحن الإفتاح !

• • •

سكرت كاساتنا من خمر بابل
ألف خيط في دمانا .. يستبد

— « آه يا سيدتي : أنتِ مَلَكٌ ..

أنا لأحمل إلا قلماً بين ضلوعى ..

فخذيه .. إنه أئمن ما عندى .. خذيه »

ومشت راحتها فوق جيبى ،

هتف لى : « شهریار »

— « شهرزادى : أسكى شَهْدَ الرحيق المتواصل

ثم قصى من حكاياك الجديدة

من زمان لم أَعُدْ أسمع أشياء جديدة

لى :

— « لبيك يا مولائى .. قالوا

..

ثم لم تملك قَوَانَا

وعلى الجدران لوحات فريدة

لرغيف .. وزجاجات من الخمر .. وراع ..

قطيع !

(آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض فى وجه الشروق !

ربما تُنفق كل العمر كى تنقب ثغرة
ليمر النور للأجيال .. مرة !

..

ربما لو لم يكن هذا الجدار :

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!)

- ٣ -

شَفَّةٌ ثُلجِيَّةٌ فى جيبتي تسرى .. مُلَحَّةٌ

« قد أقى الصبح .. فَقَمْ »

شدنى السيف من أشهى حُلُم

حاملأ أمر الأميرة

— « أنا يا مسرورُ معشوقُ الأميرة

ليلة واحدة تُقضى .. بَدَم ؟!

يا ترى من كان فينا شهریار ؟!

أنا يا مسرورُ .. »

(مسرورُ على الباب : رخام)

— « أنا يامسرورُ لم أسعد من الدنيا بفرحة

أنا لم أبلغ سوى عشرينَ عام

خذ ثيابى .. خذ مراياى المنيرة ..
— حسناً ، فاهرب من الباب الذى فى آخر الممشى
ولا ترجع هنا »

يا طريق التلّ حيث القبة الملساء .. خلفى
حيث مازالت على جنبيك آلاف النقايات ..
لسكان المدينة :

الكلاب الوالغة ..
وزجاجات الخمور الفارغة ..
وأنا .. أحمل أقدامى الحزينة !!

الضحك فى دقيقة الحداد !

.. ووقفنا فى العراء
ببقايا أغمدة .
انتظرنا ان يمر الشعراء
ربما يمنحنا دفء الغناء
ربما .. ليلة حب واحدة .
وتنصتنا لوقع الخطو ، غربلنا الهواء
لم يكن إلا .. سكوت الصحراء
وطنين الأفدة !

• • •

عامٌ تحت الصفر .. صفر اليد جاء
حين كنا فى ضمير الليل روحاً مجهدة .
طرق الباب ، ونادى فى حياء

فاستدرونا في فراش النوم ،
أَحْكَمْنَا الْغَطَاءَ
وتركناه هُبَّاتِ الرِّيحِ الْبَارِدَةِ .

كُنْتُ فِي الْمَقْهَى ، وَكَانَ الْبَيْعَاءُ
يَقْرَأُ الْأَنْبَاءَ فِي فِرَانٍ حَقْلَ الْقَمْجِ ،
فَرَقَ الْقِرْدَةَ
وهي تَجَرُّ النَّرَاجِيلَ ، وَتَرْنُو لِلنِّسَاءِ .
(— رَفَعُ اثْنَانِ جَمِيعَ الْأَسْمَدَةِ)

.. النَّسَاءُ الْقَطِطُ — الْأَفْرَاسُ — سِمَانُ الْعِشَاءِ
وَعَيُونُ الرِّغْبَةِ الْفَتْرَانُ تَبْتَلُ بِأَصْدَاءِ الْمَوَاءِ .
(— رَفَعُ سَعْرِ الصَّوْفِ ..)

.. مَا مِنْ فَائِدَةٍ !

كَادَتْ السَّيَارَةُ الْخُمْرَاءُ أَنْ تَقْصِمَ ظَهْرَ السَّيِّدَةِ
وَالنِّسَاءُ — الْقَطِطُ — الْأَزْيَاءُ يَخْلَعْنَ الرِّدَاءَ

(— ثَائِرٌ يَقْتُلُ فِي ظَهْرَانِ بِالْأَمْسِ — رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ)

رَقْعَةُ الشُّطْرَنِجِ : مَاتَ الشَّاهُ ، دَوْرُ الْإِبْتِدَاءِ ..
هَزَمَ الْأَبْيَضُ فِيهِ اسْوَدَهُ
حِينَ كُنَّا فِي ضَمِيرِ اللَّيْلِ رُوحًا مَجْهَدَةً .

تَلْعَقُ الْفَتْرَانُ فِي الْجُحْرِ تَرَابَ الْإِشْتِهَاءِ
وهي تَجَرُّ النَّرَاجِيلَ ، وَتَرْنُو لِلنِّسَاءِ
النِّسَاءُ — الْقَطِطُ الْكَسَلِيُّ ،

.. (اشْتَبَاكَ عَسْكَرِيٌّ فِي الْمَسَاءِ)
بِرْهَةً : تَرْتَفِعُ الْأَعْيُنُ عَنْ طَاوِلَةِ الزَّهْرِ وَمَوْسِيقَى النِّسَاءِ
تَبْرِقُ النَّظَرَةُ مِنْ تَحْتِ الْجَفَوْنَ الْخَامِدَةِ

(مَجْلِسُ الْأَمْنِ يُوَالِي ..)

.. وَيَعُودُ الْإِنْعَاءُ ..

تجلس العينُ على نقش البلاطِ القرفصاءُ
ثم تنسأه ، وتطويها فنونُ العريضة !!
قال لي :

« ها هو يهو الأعمدة »

.. .. .

من هنا مرَّت خيولُ الخيلاء
من هنا مرّت .. فلم يُدفن لها قتلى ،
ولم تُحقن دماء .

حطَّت الحداثة فوق المائدة
رفع النسرُ عن الشمس . يَدَه
فهوْث ، والأرضُ غطاها الوباء .

.. .. .

نقشةُ الجدرانِ في قلبي ،

وفي عيني الرمالُ الراقدة

الرمالُ الرابضاتُ — اليوم — من حول البناء
الرمالُ — الندمُ الحارقُ لي خبِرَ وماء .
يا بقايا المومياء :

نحن أسبلنا العيونَ الرميّة

حين أنكرناكِ قبل الفجرِ ..

(والفجرُ إلى اللحظة لم يأتِ ،)
وجاء ..

بدلاً منه : الوباء ،

كلما استشرّفت النظرةُ أفقَ النور : شَمَّتْ جسده
فراخت .. مُقعّدة ،

وانتظرنا الصيفُ في فصل الشتاء

واغتسلنا ننشُدُ البرءَ نهارَ الأربعاء

ودعونا الله أن يكشف عنا الغُمةَ المتعقّدة :

أعطنا ليلة حب واحدة

أعطنا ليلة طهر واحدة

أعطنا ليلة صدق واحدة

وتنسّمنا صدى الدعوة ، غربلنا الهواء

لم يكن إلا .. الوباء

جَرَباً تحت الجلود :

الظفرُ لا يجدى ..

ولا يجدى الدواء !

جَرَبٌ أوغَلَ . حتى الأفتدة !!

° ° °

ووقفنا في العراء

ببقايا أعمدة ..

وتلفَّتْنا ، فأبصرنا عظامَ الشهداء

تتلوَّى في رمالِ الضَّحراء

تقصِد النِّيلَ .. لكي يمنحها جرعة ماء

فسقاها .. كَمَدَه !

ورأينا في مرايا مائه أوجهنا ..

كنا عراةَ تعساء

خلفنا يصطَلُّ بابُ المصيِّدة .

.. والشفاهُ المرغياتُ المزبدة .

تتبارى في الهتافاتِ ،

تدقُّ المنضدةُ

ثم تنسلُّ اذا انقضَّ البكاء

تتلهى بالصدور الناهدة

في حوائثِ الشواءِ ،

.. .. .

.. .. .

يا عصافير الشتاء :

لا تلوميني .. إذا الطوفانُ جاء

.. .. .

(١٩٦٩)

(بيان)

أيها السادة : لم يبقَ اختيارٌ
سقط المهرُ من الإعياء ،
وانحلت سيورُ القرية
ضاقَت الدائرةُ السوداءُ حول الرقبة
صدرنا يلمسه السيفُ ،
وفي الظهير : الجدار !

..

أيها السادة : لم يبقَ انتظارٌ
قد منعنا جزيّة الصمِّ لمملوكٍ وعبدٍ
وقطعنا شعرة الوالى « ابن هند »
ليس ما نخسره الآن ..

سوى الرحلة من مقهى إلى مقهى ..

ومن عارٍ .. لعارٍ !!

- ١ -

على محطات القُرى ..
ترسو قطاراتُ السهادِ
فتنطوى أجنحةُ الغبارِ فى استرخاءةِ الدُّنُو
والنسوةُ المتشحاتُ بالسوادِ
تحت المصابيح ، على أرصفةِ الرسو
ذابت عيونهن فى التحديق والرُّنُو
علَّ وجوه الغائبين منذ أعوام الخداذِ
تشرقُ من دائرةِ الأحزانِ والسلُو
..
ينظرون .. حتى تتآكلَ العيونُ
تتآكلُ الليالى ،
تتآكلُ القطاراتُ من الرواج والغدُو
والغائبون فى ترابِ الوطن — العدو
لا يرجعون للبلاد ..
لا يخلعون معطفَ الوحشةِ عن مناكِبِ الأعيادِ !

سرحانُ يا سرحانُ
والصمتُ قد هدك
حتى متى وحدك
يخفرك السجان ؟

.. .. .
نقتل ، أو نُقتل
هذا الخيار الصعب
وشلنا بالربع ..
تردد العزل

.. .. .
في البيت ، في الميدان
نقتل يا سرحان !

أبخره الشاي تدور في الفناجين ، وتشرتب
يلتم شمل العائلة
.. إلا الذي في الصحراء القاحلة

نافورة حراء .
طفل يبيع الفل بين العربات .
مقتولة تنتظر السيارة البيضاء .
كلب يحك أنفه على عمود النور .
مقهى ، ومذباغ ، وتردد صاحب ، وطاولات .
ألوية ملوئة الأعناق فوق الساريات .
أندية ليلية .
كتابة ضوئية .
الصحف الدائمة العنوان .. يعض الصفحات .
حوائط ، وملصقات ..
تدعو لرؤية (الأب الجالس فوق الشجرة)
والثورة المنتصرة !
إيقاعات :

يرقد في أمعاء طائر وذئب

(يهبط من صورته المقلبه

يلتف حول رأسه الدامي شريط الحزن

يجلس قرب الركن

يضغى إلى ثرثرة الأفواه والملاعق المبتذلة

ينشق في وقفته .. نصفين

يصب في منتصف الفنجان .. قطرتين
من دمه ،

ينكسر الفنجان .. شظيتين)

ينكسر النسيان

وهو يعود باكياً إلى إطار الصورة المجللة
بآية القرآن !

..
الدم في الوسائد

بلونه الداكن

واللبن الساخن

تبعه الجرائد

..

اللبن الفاسد

اللبن الفاسد

اللبن الفاسد

يخفى الدم — الشاهد

- ٤ -

أموت في الفراش .. مثلما تموت العير ،

أموت ، والنفير ..

يدق في دمشق ..

أموت في الشارع : في العطور والأزياء

أموت ، والأعداء ..

تدوس وجه الحق .

إيقاعات :

الدم قبل النوم

نلبسه .. رداء

والدم صار ماء

يراق كل يوم

« وما يجسمى موضع إلا وفيه طعنة برمخ »
.. إلا وفيه جرح ،
إذن .

« فلا نامت عيونُ الجُبناء »

لا وقت للبكاء

لا وقت للبكاء .

فالعَلَمُ الذى تنكسِيته .. على مرادقِ العزاء
مُنكسٌ فى الشاطئِ الآخرِ ،
والأبناء ..

يُسْتَشْهِدونَ كى يقيموه .. على « ثبة » ،
العَلَمُ المنسوجُ من حلاوةِ النصرِ ومن مرارةِ النكبةِ
خيوطاً من الحبِّ .. وخيطينِ من الدماءِ
العَلَمُ المنسوج من خيامِ اللاجئين للعزاء
ومن مناديلِ وداعِ الأمهاتِ للجنود :
فى الشاطئِ الآخرِ ..

مُلَقًى فى الثرى ..

ينهشُ فيه الدودُ ،

ينهشُ فيه الدودُ .. واليهودُ

فانخلعى من قلبك المفتود

١٩٧٠

مقاتلين .. فمقاتلين .. في الحَلَبَةِ .

• • •

الشمسُ (هذه التي تأق من الشرق بلا استحياء)
كيف تُرى تمرُّ فوق الضفة الأخرى ..
ولا تغيء مُطْفَأة ؟
والنسمَةُ التي تمرُّ في هُبُوبها على نخيم الأعداء
كيف تُرى تُشمُّها .. فلا تسدُّ الأنف ؟
أو تحترق الرئة ؟
وهذه الخرائطُ التي صارتُ بها سيناء
غيريَّة الأسماء
كيف نراها .. دون أن يصيبنا العمى ؟
والعارُ .. من أمتنا السُجْرَاء ؟
.. والطفلةُ الصغيرةُ العذبة
تُطلقُ — فوق البيت — « طيارتها » البيضاء
كيف تُرى تكتبُ في كُرْاسَةِ الإنشاء
عن بيتها المهْدوم فوق الأب .. واللعبة ؟
وأُمِّي التي تظلُّ في فناء البيت مُنْكَبَةً

فها على أبوابك السبعة ، يا طيبة ..
باطبئة الأسماء :

يُقعى أبو الهول ،
وثقعى أمةُ الأعداء
مجنونة الأنياپ والرغبة ..
تشربُ من دمائِ ابنائكِ قربةً .. قربةً
تفرشُ أظفالكِ في الأرضِ بساطاً ..
للمدرعاتِ والأحذية الصلبة
وأنتِ تبكين على الأبناء ،
تبكين ؟
يا ساقيةَ دائرةٍ ينكسر الحنين ..
في قلبها ، ويُلك الجارى على خدِّ التجوع
يجرى دموع
ضفافه : الأحزان والغربة ،
تبكين ؟ مَنْ تبكين ؟
وأنتِ طولَ العمر — تشقين ، وتحصدين ..
مرارة الخيبة
وأنتِ — طولَ العمر — تبقين ، وتنجين ..

مقروحة العينين ، مسترسلة الرثاء
تنكث بالعود على التربة :

رأيتها : الخنساء

ترثي شبايبها المستشهدين في الصحراء .

رأيتها : اسماء

تبكي ابنها المقتول في الكعبة .

رأيتها : شجرة الدر ..

ترد خلفها الباب على حثان (نجم الدين)

تغلق صدرها على الطعنة والسكين

فالجنود في الدلتا

ليس لهم أن ينظروا إلى الوراء

أو يدفنوا الموق

إلا صيحة الغد المنتصر المينون

.. .. .

(.. والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت يومها : سفائن الإفرنج

تغوص تحت الموج .

وملك الإفرنج

يغوص تحت السرخ .

وراية الإفرنج

تغوص ، والأقدام تغري وجهها الموعج ،

.. وها أنا — الآن — أرى في غدك المكنون :

صيفاً كثيف الوهج

ومدناً ترتج

وسفناً لم تنتج

ونجمة تسقط — فوق حائط المبكى — إلى الـ

وراية (العقاب)

ساطعة في الأوج ..

.. .

والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين ..

من سبتمبر الحزين :

رأيت في هتاف شعبي اجريح
 (رأيت خلف الصورة)
 وجهك .. يا منصوره ،
 وجه لويس التاسع المأسور في يدى صبيح

 رأيت في صبيحة الأول من تشرين
 جندك .. يا حطين
 ييكون ،
 لا يدرون ..
 أن كل واحد من الماشين
 فيه .. صلاح الدين !

(٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

العهد الآتي

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد صَّاعاً عارة
الخير والشر .

المهد القديم

تك ٣ : ٢٢

مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم
لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود .

المهد الجديد

يو ١٨ : ٣٦

أبانا الذى فى المَبَاحِثِ . نحن رعاياكَ . باقٍ
لكَ الجبروتُ . وباقٍ لنا الملكوتُ . وباقٍ لمن
تُخَرِّسُ الرَّهْبُوتُ .

° ° °

تفرَّدتَ وحدكَ باليسرِ . إنَّ اليقينَ لَفى الخُسْرِ .
أما اليسارُ ففى العُسْرِ . إلا . الذين يُمَاشُونَ .
إلا الذين يَمِيشُونَ يَمُخِشُونَ بالصَّحِيفِ المُشْتَرَاةِ
العيونَ .. قَيِّمُشُونَ . إلا الذين يَشُونَ . وإلا
الذين يُوشُونَ يا قاتِ قِمصانِهِم بِرِباطِ السُّكُوتِ !
تعالَيْتَ . ماذا يَهْمُكَ مَن يذُمَّكَ ؟ اليومَ يومَكَ
يرقُ السَّجِينُ إلى سُدَّةِ العرشِ ..
والعرشُ يصبَحُ سَجَنًا جَدِيدًا وَأَنْتَ مَكَانَكَ . قد

(الاصحاح الأول)

في البدء كُنْتُ رجلاً .. وامرأة .. وشجرة .
 كُنْتُ أباً .. وابناً .. وروحاً قُدساً .
 كُنْتُ الصَّبَاحَ .. والمساء ..
 والْحَدِيقَةَ الثَّابِتَةَ المُدَوَّرَةَ .
 وكان عرشي حجراً على ضفاف النهر
 وكانت الشياة ..
 ترعى ؛ وكان النحلُ حول الزُّهْر ..
 يطنُّ ؛ والإورُّ يطفو في بحيرة السكون ،
 والحياة ..
 تثبُّضُ — كالطاحونة البعيدة !
 حين رأيتُ أن كلَّ ماأراه
 لاينقُذ القلبَ من الملل !

يتبدَّلُ رَسْمُكَ واسْمُكَ . لكن جوهرك الفردُ
 لا يتحوَّلُ . الصمْتُ وشَمَكُ . والصمتُ وَثْءُ
 والصمتُ — حيثُ التَّفَتُّ — يرين ويسْمُكُ
 بين خيوط يديكَ المشبكتين المصمغتين يلفُ
 الفراشة .. والعنكبوت .

• • •

أبانا الذي في المباحث . كيف تموت .
 وأغنية الثورة الأبدية
 ليست تموت ؟!

(مبارزاتُ الديكة)

كانت هي التسليّة الوحيدة

في جلستي الوحيدة

بين غصونِ الشجرِ المشبّكة !

(الاصحاح الثاني)

قلتُ لنفسي : لو نزلت الماء .. واغتسلت .. لانقسمت

(لو انقسمت .. لازدوجت .. وابتسمت)

وبعدما استحمت ..

تناسخَ الزهرُ وشاحاً من حرارة الشفاة

لَفَقْتُ فيه جسدي المصطك ..

(وكان عرشي طافياً .. كالفلك)

ورفَّ عصفورٌ علي رأسي ؛ وحطَّ ينفُض البَلل

حدّقتُ في قرارة المياه

حدّقتُ ؛ كان مأراة

وجهي .. مكللاً بتاج الشوك !

(الاصحاح الثالث)

قلتُ : فليكن الحبُّ في الأرض ؛ لكنه لم يكن !

قلتُ : فليذبِ النهرُ في البحرِ ، والبحرُ في السُحْبِ ،

والسُحْبُ في الجذبِ ، والجذبُ في الخصبِ ، ينبت

عجزاً ليسندَ قلبَ الجياحِ ، وعشباً لماشية

الأرضِ ، ظلّاً لمن يتغرّبُ في صحراء الشجنِ .

ورأيتُ ابنَ آدمَ — ينصبُ أسواره حول مزرعة

اللهِ ، يبتاعُ من حوله حرساً ، ويبيع لإخوته

الحبِزَ والماءَ ، يحتلبُ البقراتِ العجافَ لتعطى اللبنُ .

قلتُ فليكن الحبُّ في الأرض ، لكنه لم يكن .

أصبح الحبُّ ملكاً لمن يملكون الثمن .

... ..

ورأى الربُّ ذلكَ غيرَ حسن !

• • •

قلتُ : فليكن العدلُ في الأرض ؛ عَيْنَ بعَيْنٍ وَسِرِّ بِسَرٍّ .

قلتُ : هل يأكلُ الذئبُ ذنباً ، أو الشاةُ شاةً ؟

ولا تضعُ السيفَ في عُنقِ اثنين : طفلٌ .. وشيخٌ مُ

ورأيت ابن آدم يؤدى ابن آدم ، يشعل فى
المدن النار ، يغرُسُ خُصْرَهُ فى بطونِ الخوامِلِ ،
يُلْقَى أصابعُ أطفالِهِ عَنَقاً للخيولِ ، يَقْصُرُ الشفَاةَ
ورُوداً تُزَيِّنُ مائدةَ النصرِ .. وهى تَعْنُ .
أصبحَ العدلُ موتاً ، وميزانه البندقية ، أبنائهُ
صَلَبُوا فى الميادينِ ، أو شُنِقُوا فى زوايا المدنِ .
قلت : فليكن العدلُ فى الأرضِ ، لكنَّهُ لم يكنِ .
أصبحَ العدلُ ملكاً لمن جَلَسُوا فوق عرشِ الجماجمِ
بالطُّيْلَسَانِ —

الكفن

....
ورأى الربُّ ذلكَ غيرَ حسنٍ !

• • •

قلت : فليكن العقلُ فى الأرضِ ، تُصْغَى إلى صوته المُنْتَنِ .
قلت : هل يبتنى الطيرُ أعشاشَهُ فى فمِ الأفْعوانِ ،
هل الدَّودُ يَسْكُنُ فى لُبِّ النارِ ، والبومُ هل
يضع الكُخْلَ فى هدبِ عينيه ، هل يبذر الملحُ

مَنْ يَرْجِى القمحَ حينَ يدورُ الزمنُ .

ورأيت ابن آدم وهو يُجَحِّنُ ، فيقتلع الشجرَ المتطاوِلَ ،
ييصقُ فى البئرِ ، يلقي على صفحةِ النهرِ بالزيتِ ،
يَسْكُنُ فى البيتِ ؛ ثم يُجَحِّيُّ فى أسفلِ البابِ
قنبلةَ الموتِ ، يُؤْوِي العقاربَ فى دَفءِ أضلاعِهِ ،
ويُورِثُ أبناءَهُ دينَهُ .. واسمُهُ .. وقميصُ الفِتَنِ .
أصبحَ العقلُ مُغْتَرِباً يَسْئَلُ ، يقذفه صَيِّبَةٌ
بالحجارةِ ، يُوقِفُهُ الجندُ عندَ الحدودِ ، وتسحبُ
منهُ الحكوماتُ جنسيَّةَ الوَطَنِى .. وتُدْرِجُهُ فى
قوائمِ من يكرهون الوضنَ .

قلت : فليكن العقلُ فى الأرضِ ، لكنَّهُ لم يكنِ .
سقطَ العقلُ فى دَوْرَةِ النفى والسجى .. حتَّى يُجَحِّنَ

....

ورأى الربُّ ذلكَ غيرَ حسنٍ !

(الاصحاح الرابع)

قلت : فلتكن الرياحُ فى الأرضِ ؛ تكنسُ هذا القَفَرُ
قلت : فلتكن الرياحُ والدُمُ ... تقتلعُ الرياحُ هَسْهَةً

الورق الذابل المُتَشَبِّثُ ، يندلع الدم حتى
الجنود فيزهرها ويظهرها ، ثم يصعد في
السوق .. والورق المُتَشَابِلُ . والتمر المُتَدَلِّي ؛
فيعصره العاصرون نبيذاً يزغرد في كل دن .
قلت : فليكن الدم نهراً من الشهد ينساب تحت فراديس غدا
هذه الأرض حسناء ، زينتها الفقراء ، لهم تَطْطِيبُ ،
يعطونها الحب ، تعطيم النسل والكبرياء .
قلت : لا يسكن الأغنياء بها . الأغنياء الذين
يَصُوغُونَ من عَرِقِ الأَجْرَاءِ نُقُودَ زنا .. ولآلئ
تاج . وأقراط عاج .. ومسيحة للرياء .
إننى أول الفقراء الذين يعيشون مُعْتَزِينَ ،
يموتون مُحْتَسِبِينَ لدى العزاء .
قلت : فلنكن الأرض لى ... ولهم !
(وأنا بينهم)
حين أخلع عني ثياب السماء .
فأنا أُنْقَدَسُ — في صرخة الجرج — فوق الفراش الخشين !

(الاصحاح الخامس)

حَدَّقْتُ في الصخر ؛ وفي اليَبُوعِ
رَأَيْتُ وجهي في سيمات الجُوعِ !
حَدَّقْتُ في جَبِينِ المَقْلُوبِ
رَأَيْتُنِي : الصليب والمصلوب
صرخت — كنت خارجاً من رَجِيمِ الهناء
صرخت ؛ أطلب البراءة
كَيُنُونِي : مشنقتي
وحَبْلِي السُرِّي :
حَبْلُهَا
المقطوع !

(الاصحاح الثانى)

دَقَّتِ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

رَفَعَتْ أُمُّهُ الطَّيِّبَةَ

عَيْنُهَا ..

(دَفَعَتْهُ كُعُوبُ الْبِنَادِقِ فِي الْمَرْكَبَةِ !)

... ..

دَقَّتِ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

نَهَضَتْ ؛ نَسَقَتْ مَكْتَبَهُ ..

(صَفَعَتْهُ يَدٌ ..

— أَدْخَلَتْهُ يَدُ اللَّهِ فِي التَّجَرِبَةِ —)

... ..

دَقَّتِ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

جَلَسَتْ أُمُّهُ ؛ رَتَّقَتْ جُورَبَهُ ..

(وَخَرَزَتْهُ عَيُونُ الْمُحَقِّقِ ..

سفر الخروج
(أغنية الكعكة الحجرية)

(الاصحاح الأول)

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ عَلَى حَافَةِ الْمَذْبَحَةِ

أَشْهَرُوا الْأَسْلِحَةَ !

سَقَطَ الْمَوْتُ ؛ وَانْفَرَطَ الْقَلْبُ كَالْمَسِيحَةِ

وَالدَّمُ انْسَابَ فَوْقَ الْوِشَاحِ !

الْمَنَازِلُ أَضْرَحَتْ ،

وَالزَّنَازِنُ أَضْرَحَتْ ،

وَالْمَدَى .. أَضْرَحَتْ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ

وَاتَّبِعُونِ !

أَنَا نَدَمُ الْغَدِ وَالْبَارِحَةِ

رَايَتِي ؛ عَظَمَتَانِ .. وَجُمُجُمَةٌ ،

حتى تَفَجَّرَ من جلده الدم والأجوبة !)

... ..

دقت الساعة المتعبة !

دقت الساعة المتعبة !

(الاصحاح الثالث)

عندما تهبطون على ساحة القوم ؛ لا تَبْدئُ بالسلام

فهم الآن يَقْتَسِمُونَ صفارك فوق صحاف الطعام

بعد أن أشعلوا النار في العُشِّ ..

والقشُّ ..

والسنبلة .

وغداً يَذْبَحُونَكَ .. بحثاً عن الكنز في الحَوْصَلَة !

وغداً تُقْتَدَى مُدُنُ الألفِ عام .

مدناً .. للخيام

مدناً ترتقى دَرَجُ المَقْصَلَة !

(الاصحاح الرابع)

دقت الساعة القاسية

وقفوا في ميادينها الجَهْمَة الخاوية

واستداروا على دَرَجَاتِ النَّصَبِ

شجراً من لَهَبٍ

تعصف الرياح بين ورُيقاته الغضة الدانية

فَيَنْثُنُ : « بلادى .. بلادى »

(بلادى البعيدة !)

... ..

دقت الساعة القاسية

« انظروا » ؛ هتفت غانية

تتمطى بسيارة الرقم الجُمُرُكِيِّ ؛

وتتمت الثانية :

سوف ينصرفون إذا البرْدُ حُلَّ .. وَرَانَ التعب

... ..

دقت الساعة القاسية

كان مذياعٌ مقهى يذيع أحاديثه البالية

عن دُعَاةِ الشغب

وهم يستديرون ؛

يشتلون — على الكعكة الحَجَرِيَّة — حول النَّصَبِ

شمعدان غَضَبٍ

يتوهج في الليل ..
والصوت يكتسح العتمة الباقية
تتغنى الليلة ميلاد مصر الجديدة !

(الاصحاح الخامس)

أذكريني !
فقد لَوْنَتِي العناوين في الصُّحُفِ الخائنة !
لَوْنَتِي .. لأتَى منذ الهزيمة لا لون لي
(غير لون الضياغ)
قبلها ؛ كنتُ أقرأ في صفحة الرمل
(والرمل أصبح كالعملة الصعبة ،
الرمل أصبح أبسط .. تحت أقدام جيش الدفاع)
فأذكريني ؛ كما تذكرين المهزَّب .. والمطرب العاطفي ..
وَكَاَبَ العقيد .. وزينة رأس السنة .
أذكريني إذا نسيَّتِي شُهُودُ العيانِ
ومَضْبَطَةُ البرلمانِ
وقائمة التهم المعلنة
والوداع !

الوداع !

(الاصحاح السادس)

دقت الساعة الخامسة
ظَهَرَ الجندُ دائرةً من دُرُوعٍ وخوذات حرب
ها هُم الآن يقتربون رويداً .. رويداً ..
يحيثون من كُلِّ صَوْبٍ
والمُعْتُون — في الكعكة الحجرية — ينقبضون
وينفرجون
كنبضة قلب !

يشعلون الحناجر ،
يستدفئون من البرد والظلمة القارسة
يرفعون الأناشيد في أوجه الحرس المقترَب

يشكون أياديهم المَقْضَةُ البائسة
لتصير ساجداً يصدُّ الرصاص !
الرصاص ..
الرصاص ..
وَأَد ..

« نحن فداؤ ... »

وتسقط حنجرة مُخْرِسَةٌ

معها يسقط اسمك — يا مصر — في الأرض
لا يَبْقَى سوى الجسد المتهشم والصرخات
على الساحة الدامسة !

دقت الساعة الخامسة

... ...

دقت الخامسة

... ...

دقت الخامسة

... ...

وتَفَرَّقَ ماؤُكَ — يانهر — حين بَلَغْتَ المَصَبَّ !

° ° °

المنازل أضرحه ، والزنازن

أضرحه ، والمدى أضرحه

فارفعوا الأسلحة !

ارفعوا

الأسلحة

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس

(بكائيات)

(الاصحاح الأول)

عائدون ؛ وأصغر إخوتهم ذو العيون الحزينة
يتقلب في الجُبِّ ،

أجمل إخوتهم .. لا يعود !

وعجوز هي القديس (يشتعل الرأس شيبا)

تشم القميص . فتبيض أعينها بالبكاء ،

ولا تخلع الثوب حتى يجيء لها نبأ عن فتاها البعيد

أرض كنعان — إن لم تكن أنت فيها — مراعى من الشوك

يؤريها الله من شاء من أمر ،

فالذى يحرس الأرض ليس الصيارف

إن الذى يحرس الأرض رب الجنود

آه من فى غيد سوف يرفع هامته

غير من طأطأوا حين أزر الرصاص ؟

ومن سوف يخطب — في ساحة الشهداء —
سوى الجبناء ؟
ومن سوف يغوى الأرامل إلا الذى
سيؤول اليه : راج المدينة ؟!!

(الاصحاح الثانى)

أرشق في الحائط حد المطواه
والموت يهـ من الصحف الملقاة
اتجزأ في المرأة
يصفنى وجهى المتحفى تحت قناع النفط
« من يجرؤ أن يضع الجرس الأول فى عنق القط ؟ »

(الاصحاح الثالث)

منظر جانبي لفيروز
(وهى تطل على البحر من شرفة الفجر)
لبنان فوق الخريطة :
منظر جانبي لفيروز ،
والبنديقة تدخل كل بيوت (الجنوب)

مطر النار يهطل ، يثقب قلباً .. فقلباً
ويترك فوق الخريطة ثقباً .. فثقباً
وفيروز فى أغنيات الرعاة البسيطة
تستعيد المراثى لمن سقطوا فى الحروب
تستعيد الجنوب !

(الاصحاح الرابع)

البسمة حلم
والشمس هى الدينار الزائف
فى طبق اليوم
(من يمسخ عنى عرق فى هذا اليوم الصائف)
والظل الخائف
يتمدد من تحتى ؛
يفصل بين الأرض .. وبينى !
وفضاءك كبحرف مات بأرض الخوف
(حاء .. باء)
(حاء .. راء .. ياء .. هاء)
الحرف : السيف
مازلت أروء بلاد اللون الداكن

ابحث عنه بين الاحياء الموق والموق الاحياء
حتى يَرْتَدُّ النَبْضُ إلى القلب الساكن
لكن .. !!

(الاصحاح الخامس)

منظر جانبي لعمان عام البكاء
والحوادث مرشوشة ببقايا دم لعنته الكلاب
ونهود الصبايا مصايح مطفأة فوق أعمدة الكهرباء
منظر جانبي لعمان ؟
والحرس الملكي يفتش ثوب الخليفة
وهو يسير إلى « إيلياء »
وتغيب البيوت وراء الدخان
وتغيب عيون الضحايا وراء النجوم الصغيرة
في العلم الأجنبي ،
ويعلو وراء نوافذ « بسمان » عزف البيان

(الاصحاح السادس)

اشترى في المساء

قهوة ، وشطيرة
واشترى شمعتين . وعَدَّارَةٌ ؛ وذخيرة
وزجاجة ماء

... ...

عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد
(ويد الله تخلع عن جسد القدس ثوب الحداد)
ليس من أجل أن يتفجر نطف الجزيرة
ليس من أجل أن يتفاوض من يتفاوض
من حول مائدة مستديرة
ليس من أجل أن يأكل السادة الكستناء .

(الاصحاح السابع)

ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر
ليغفر الرصاص .. ياكستجر

سفر الف دال

والقطارات ترحل ، والراحلون
يصلون .. ولا يصلون !

(الاصحاح الثاني)

سنترال :

أعط للفتيات

(اللواق يتنن إلى جانب الآلة الباردة

شاردات الخيال)

رقمى — رقم الموت — حتى أجيء إلى العرس

ذى الليلة الواحدة !

أعطه للرجال ..

عندما يلثمون حبيبتهم فى الصباح ،

ويرغلون إلى جبهات القتال !

(الاصحاح الثالث)

الشهور زهور على حافة القلب تنمو

وتحرقها الشمس ذات العيون الشتائية المطفأة

زهرة فى إناء

توهج فى أول الحب بينى وبينك

(الاصحاح الأول)

القطارات ترحل فوق قضيبين : ما كان — ماسيكون !

والسماء رماد ، به صنع الموت قهوته ،

ثم ذراه كى تنشق الكائنات

فيتسل بين الشرايين والأفئدة .

كل شيء — خلال الزجاج — يفر :

رذاذ الغبار على بقعة الضوء ،

أغنية الريح ،

قنطرة النهر ،

سرب العصافير والأعمدة .

كل شيء يفر ،

فلا الماء تمسكه اليد ،

والحلل لا يتبقى على شرفات العيون .

... ..

تصبح طفلاً .. وأرجوحة .. وامرأة .

زهرة في الرداء

تَتَفَتَّحُ أَوْرَاقُهَا فِي حَيَاءٍ

عندما تَتَخَاصَّرُ في المشية الهادئة .

زهرة من غناء

تورّد فوق كمنجبات صوتك

حين تفاجئك القبلّة الدافئة

زهرة من بكاء

تتجمّد فوق شجرة عينيك في لحظات الشجار الصغيرة ؛

أشواكها : الحزن والكبرياء .

... ..

زهرة فوق قبر صغير

تنحنى ؛ وأنا أتحاشى التطلع نحوك ..

في لحظات الوداع الأخير

تتعرّى ؛ وتلتفّ بالدمع في كلّ ليل إذا الصمت جاء

لم يعد غيرُها من زهور المساء

هذه الزهرة — اللؤلؤة !

(الاصباح الرابع)

تعلم الفتيان

في زيارات أعمامهنّ إلى العائلة

ثم يجهنّ الزحام على سُلّم « الحافلة »

وترام الضجيج !

... ..

تذهب السيدات

ليُعَالِجنَ أَسْبَنَانِهِنَّ فيؤمننّ بالوحدة الشاملة !

ويجِدْنَ الهوى بلسان « الخليج » ؟

... ..

يا أبانا الذي صار في الصيدليات والعلب العازلة

نَجَّتَا من يد « القابِلة »

نَجَّتَا . حين نَقْضَم — في جَنَّةِ البؤس — نَفَاحَةَ العرَبات

وثياب الخروج !!

(الاصباح الخامس)

لأنقل شوق الوحيد
لك ، للسنبلة

للزهور التي تتبرعم في السنة المقبلة
قبليني .. ولا تدمعي !
سحبُ الدمع تجبني عن عيونك ..
في هذه اللحظة المثيلة
كثرت بيننا السُّرُ القاصلة
لا تُضيفي إليها ستاراً جديداً !

(الاصحاح السادس)

كان يجلس في هذه الزاوية .
كان يكتب ، والمرأة العارية
تجول بين الموائد ؛ تعرض فتنتها بالثمن .
عندما سأله عن الحرب ، قال لها ..
لا تخافي على الثروة الغالية
فعدو الوطن
مثلنا يحترق
مثلنا .. يعشق السلع الأجنبية ،

تصرخين .. وتحترقين صفوف الجنود
نتعاق في اللحظات الأخيرة ،

في الدرجات الأخيرة .. من سلم المقصلة .
أغمس وجهك !
(هل أنت طفلة المستحيلة أم أمي الأرملة ؟)
أغمس وجهك !
(لم ألك أعني ..

ولكنهم أرفقوا مقلتي ويدي بملف اعتراف
لتنظره السلطات ..
فتعرف أنني راجعته كلمة .. كلمة ..
ثم وقَّعت يدي ..

— ربما درس هذا المحقق لي جملة تنتهي بي إلى الموت ! —
لكنهم وعدوا أن يعيدوا إلي يدي وعيني بعد
انتهاء المحاكمة العادلة !

زمن الموت لا ينتهي يا ابنتي الناكلة
وأنا لست أول من نبأ الناس عن زمن الزلزلة
وأنا لست أول من قال في السوق :
ان الحمامة — في الغُر — تحتضن القنبلة !
قبليني ؛ لأنقل سرِّي إلى شفتيك ،

يكره لحم الخنازير ،
يدفع للبندقية .. والغاية ..

.. فيكتب !

... ..

كان يجلس في هذه الزاوية .

عندما مرّت المرأة العارية

ودعاها ؛ فقالت له إنها لن تطيل القعود

فهي منذ الصباح تُفتش مستشفيات الجنود

عن أخيها المحاصر في الضفة الثانية

(عادت الأرض .. لكنه لا يعود !)

وحكّت كيف تحمل العبء طيلة غربته القاسية

وحكّت كيف تلبس — حين يجيء — ملابسها الضافية

وأرثته له صورة بين أطفاله .. ذات عيد

.. وبكت !!

(الاصحاح السابع)

أشعر الآن أنى وحيد ؛

وأن المدينة في الليل ..

(أشباحها وبنائها الشاحقة)

سفن غارقة

نهبتها قراصنة الموت ثم رفعتها إلى القاع منذ سنين .

أسند الرأس ربانها فوق حافتها ،

وزجاجة خمر محطمة تحت أقدامه

وبقايا وستام ثمين .

وتشبّت بجارة الأمس فيها بأعمدة الصمت في الأروقة

يتسلّل من بين أسماطهم سمك الذكريات الحزين .

وخناجر صامتة ..

وطحالب نابئة ..

وسلال من القطط النافقة .

ليس ما ينبض الآن بالروح في ذلك العالم المستكين

غير ما ينشر الموج من غلّيم .. كان في هبة الريح

والآن يفرك كفيه في هذه الرقعة الضيقة

سيظلّ على الساريات الكسيرة يخفق ..

حتى يذوب .. رويداً .. رويداً ..

ويصلداً فيه الحنين

دون أن يلثم الريح ثانية ، أو يرى الأمل :

أو ينتهّد .. من شمسها المحرقة !

(الاصحاح الثامن)

آه .. سيدتي المسبلة

آه .. سيدة الصمت والفتات الودود

لم يكن داخل الشقة المقفلة

غير قفيل وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة

عرفت أن ساعي البريد

مر ..

(في فتحة الباب كان الخطاب

طريحاً ..

ككاتب الشهيد ا)

قفر القط في الولولة

قفزت من شبائك جيرانها الأسفلة

... ..

آه .. سيدة الصمت والكلمات الشرود

آه .. أيتها الأرملة ا

(الاصحاح التاسع)

دائماً .. حين أمشي ؛ أرى السترة القرمزية

بين الزحام .

وأرى شعرك المتهدل فوق الكتف .

وأرى وجهك المتبدل .. فوق مرايا الخوانيت ،

في الصور الجانبية ،

في نظرات البنات الوحيدات ،

في لمعان حدود المحبين عند حلول الظلام .

دائماً أتمسك ملمس كفك في كل كف .

المقاهي التي وهبنا الشراب ،

الزوايا التي لا يرانا بها الناس ،

تلك الليالي التي كان شعرك يتلّ فيها ..

فتختبئين بصدرى من المطر العصبي

المدايا التي نشاجر من أجلها ،

حلقات الدخان التي تتجمّع في لحظات الخصاص

دائماً أنت في المنتصف ا

أنت بيني وبين كتابي ..

وبيني وبين فراشي ..

وبيني وبين هدوني ..

وبيني وبين الكلام .

ذكر يائلكِ سجنى ، وصوتك يجلدى
ودمى قطرة — بين عينيك — ليست تحف !
فامنحنى السلام !
امنحنى السلام !

(الإصحاح العاشر)

الشوارعُ فى آخر الليل .. آه
أرامل متشحات يُنهَينَ فى عتبات القبور — البيوت .
قطرة .. قطرة ، تتساقط أدْمُهنُ مصاييح ذابلة
تتشبث فى وجنة الليل ثم .. تموت !

... ..

الشوارع فى آخر الليل .. آه
خيوط من العنكبوت .

والمصاييح — تلك الفراشات — عالقَة فى مغالبا
تتلوى .. فتعصرها ، ثم تُنحل شيئا . فشيئا
فتمتص من دمها قطرة .. قطرة ؛
فالمصاييح قُوت !

... ..

الشوارع فى آخر الليل .. آه

أفاج تنام على راحة القمر الأبدى الصموت .
لَمَعَانُ الجلود المفضضة المستطيلة يغدو مصاييح
مسمومة الضوء ، يغفو بداخلها الموت ،
حتى إذا غرب القمر : انطفأت
وغلى فى شرايينها السم
تنزفه قطرة .. قطرة ؛ فى السكون الميث !

... ..

... ..

وأنا كنتُ بين الشوارع وحدى !
وبين المصاييح وحدى !

أتصيب بالحزن بين قميصى وجلدى

قطرة .. قطرة ؛ كان حى يموت

وأنا خارج من فراديسه ..

دون وَرَقَةٍ توت !!

ممدودة — كالنداء

ومشدودة — كالوتر

... ..

وتظل .. وحيدة !!

مزامير

المزمور الأول

أعشق أسكندرية ،

واسكندرية تعشق رائحة البحر ،

والبحر يعشق فاتنة في الضفاف البعيدة !

° ° °

كل أمسية ؛ تتسلل من جانبي

تجرد من كل أثوابها

وتحل غداؤها

ثم تخرج عارية في الشوارع تحت المطر !

فاذا اقتربت من سرير التهديد والزرقعة

انطرحت في ملاءاته الرغوية ؛

وانفتحت .. تنتظر !

المزمور الثاني

قلت لها في الليلة الماطرة :

البحر عنكبوت

وأنت — في شراكه — فراشة تموت

وانتفضت كالقطة النافرة

وانتصبت في خفقان الریح والأمواج

(ثديان من زجاج

وجسد من عاج)

وانفلتت مبصرة في رحلة المجهول ، فوق الرّبد المهتاج

ناديت .. ما ردّت !

صرخت .. ما ارتدّت !

وظلّ صوتي يتلاشى .. في تلاشيها ..

وراء الموجة الكاسرة)

...
...
...
(خاسرة ، خاسرة)

إن تنظري في عَيْنِي الغريمة الساحرة
أو ترفعي عَيْنِيكَ نحو الماسية التي تزين التاج !)

المزمور الثالث

لفظ البحر أعضاءها في صباح أليم
فرايتُ الكلوم

ورأيتُ أظافرَها الدموية

تَلَوِي على خصلة « ذهبية »

فَحَشَوْتُ جراحاتها بالرمال ،

وأدفأتها بنبذ الكروم ..

... ..

وتميشُ معي الآن !

ما بيننا حائطٌ من وجوم

بيننا نسماثُ « الغريم »

كلُّ أمسية ..

تسلل في ساعة المَدَد ، في الساعة القمرية

تستريح على صخرة الأبدية

تسمعُ سخرية الموج من تحت أقدامها

وصفير البواخر .. راحلة في السواد الحميم

تصاعدُ من شفتيها المُمْلَحَتَيْن رِيحُ السَّموم

تساقط أدمعها في سهوم

والنجوم

(الغريقة في القاع)

تصعدُ .. واحدة .. بعد أخرى ..

فتلقطها

وتعدُّ النجوم

في انتظار الحبيب القديم !

المزمور الرابع

(ترنيمة لشهر يناير)

فجأة .. يَجْفُلُ خطو القلب ،

تهتزُّ الكُرَيَاتُ الرصاصيةُ في سَلْتِهِ

(هل اصبع الوحدة أم اصبعك المصبوغ بالحناء ؟)

في الخارج أسواراً وأمطاراً ،

غلاف الليل ينشئ عن الرعد

غلاف القلب ينشئ عن الوجد

مساحات من الضوء الرمادي

أنا النافذة المغلقة السوداء

والنافذة الحمراء

والأسماء

(لاسمى كان مكتوباً على طرف قميصي

قبل أن يعلّق في سلك الخلود الشائك !)

النهر ضميري (ولعينيك انسياب النهر)

ما أقسى انتظاري ! ..

وفؤادي ساعة رملية صفراء

تهوى الرمل في أعماقها شيئاً فشيئاً

ربما للرمل طعم الملح أحياناً .. وطعم الانتظار !!

(المزمور الخامس)

كان فستائك في الصيف من الكتان ،

وانزهره في صدرك بيضاء ،

ولكن الشتاء الآن يكسوك بلون السبل والرجس

(حتى ورقة الثوب على فخذيك .. صفراء !)

هل الماء يغيض الآن في البئر ؟

هل الماء يفيض الآن في البئر ؟

أماء ؟ أم دم ؟

(هذا الندى القاتل ذو الوجهين)

كان النأي يمتد من الضفة للضفة

من صدرك إلى صدرك

كان النأي ممتداً

ولون الليل بين البرتقالي — الرمادي — السماوي

وفي شعرك غابات من الوحشة والصمت ؛

هوى نيم ؛ وفي الثانية التالية اصطكت يدي

في الشبح العابر

(هل كانت يدي في يدك اليسرى ؟)

وفي الثانية التالية اصطكت يدي في كلمة السجن

على وجه الجدار !!

المزمور السادس

نَحْنُ صَوْتَانِ ..

(إِذْنُ فَالصَوْتُ قَدْ أَصْبَحَ صَوْتَيْنِ ؟)
تَنَزَّهْنَا عَلَى خَطِّ اسْتَوَاءِ الْمَوْتِ ،
أَمَلْنَا الْبِنَفْسِ
وَتَسَلَّفْنَا شِعَاعَ الرَّهْمِ ، خَدَلْنَا مَزَالِيخَ الْبَيُوتِ
وَقَدَحْنَا حَجَرَ الْحُبِّ ؛ جَلَسْنَا نَتَوَهَّجُ
فَاحْلَفِي بِاسْمِي ، وَبِاسْمِ الْعَنْكَبُوتِ
بِاسْمِ نَقْشِ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُتَعَرِّجِ
وَرَكَايِ الذِّكْرِيَّاتِ السَّرِجِ
أَنَّا وَرَقَةٌ تَوْتُ
سَقَطْتُ عَنْ عَوْرَةِ الصَّيْفِ ،
وَضَلْتُ نَتَدَحْرَجُ
فَوْقُنَا نَتَفَرَّجُ
(دُونَ أَنْ تَطْرُقَ) حَتَّى سَقَطْتُ فِي النَّهْرِ ..
وَارْتَدَّ السَّكُوتُ !

المزمور السابع

جاء الاناسُ الميتونَ ، يحملونَ
كفائهم ؛ أطيارُهم ليست إلى أعناقهم ؛

يستفسرون :

« ماذا أتى بنا هنا ؟ ! »
أنتَ بِكُمْ أَمْرًا خَاطِلَةً
نَهَوْدَهَا دَافَةً
وَلَحْمَهَا مُعْطَرُ الثَّكْبَةِ
قَدْ اسْتَدَارَتْ فِي فِرَاشِهَا بَرَهَةً
عَانَقَتْ الْجِدَارَ ، قَبِلَتْ وَجْهَهُ
« يَا أَيُّهَا الْجِدَارُ .. لَا تُبَيِّعْ بِمَا تَرَى
وَلَا تُقِلَّ عَنِ الَّذِينَ يُولَدُونَ
وَعَمِغَمِ الْجِدَارِ :
يَا صَدِيقَتِي الطِّفْلَةَ
مَاتَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ !
... ..
وَمَرَّتِ اللَّيْلَةُ
فَرُبَّمَا كَانَ أَبَاكُمْ الْجِدَارُ ،
رُبَّمَا يَكُونُ !

المزمور الثامن

(شجوية)

لماذا يتابعني أينما سرتُ صوتُ الكَمَانِ ؟
أسافرُ في القاطراتِ العتيقة ،
(كى أتحدّث للغرباء المُسَيِّينِ)
أرفع صوتي ليظفني على ضجّة العجلاتِ
وأغفو على نبضاتِ القطارِ الحديديةِ القلبِ
(تهدر مثل الطواحينِ)
لكنها بغتة .. تتباعد شيئاً فشيئاً
ويصحو نداءُ الكمان !

° ° °

أسيرُ مع الناسِ ، في المهرجاناتِ :
أصغى لبوقِ الجنودِ الحُاسِ
يملاً حلقى غبارُ التشييدِ الحماسي
لكنني فجأة .. لا أرى !
تتلاشى الصفوفُ أمامي
وينسربُ الصوتُ مبتعداً
ورويداً .. رويداً يعود إلى القلبِ صوتُ الكمانِ

لماذا إذا ما تبيّثُ للنوم يَأْتِي الكَمَان ..
فأصغى له آتياً من مكانٍ بعيد
فتصمتُ مهممةً الريح خلف الشبايلِ ،
تبضُّ الوسادة في أذني
ترجعُ دقاتُ قلبي ،
وأرحل في مدنٍ لم أزرها
شوارعها فضةً .
وبناياتها من خيوط الأشرطة .
ألقي التي واعدتني على ضفةِ النهر واقفة !
وعلى كتفها يحطُ اليمامُ الغريبُ
ومن راحتها يغط الحنان !
أحبك ، صارَ الكمانُ كموبَ بنادقِ
وصارَ يمامُ الحداثي .
تقابلُ تسقط في كلِّ آن
... ..
وغابَ الكمان !

من أوراق أبو نواس

(الورقة الأولى)

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح في صاحبي ؛ وهو يُلقى بدرهمه في الهواء
ثم يلقفه ..

(خارجين من الدرس كنا .. وحبر الطفولة فوق الرده
والعصافير تمرق عبر البيوت ،
وتعبط فوق التخيل البعيد !)

... ..
« ملك أم كتابة ؟ »

صاح بي .. فانتبهت ، وزفت ذبابه
حول عينيْن لامعتين ..
فقلت : « الكتابة »

... فتَحَ اليد مبتسما ؛ كان وجه المليك السعيد
باسماً في مهابة !

« ملك أم كتابة ؟ »

صحَّت فيه بدورى ..

فرفرف في مقلتيه الصبا والنجاة

وأجاب : « الملك »

دون أن يتلعثم .. أو يرتبك

وفتحت يدي ..

كان نقش الكتابة

بارزاً في صلابه !

دارت الأرض دورتها ..

حملتنا الشواذيف من هدأة النهر

ألقث بنا في جداول أرض السراية

نتفرق بين حقول الأسى .. وحقول الصباية .

قطرتين ؛ التقينا على سلم القصر ..

ذات مساءً وحيد

كنت فيه : نديم الرشيد

بينما صاحبي .. يتولى الحجابة !!

(الورقة الثانية)

من يملك العملة يُمسك بالوجهين
والفقراء يَبْنِ يَبْنِ !

(الورقة الثالثة)

نائماً كنتُ بجانبه ؛ وسمعتُ الحرس
يوقظون أبى !

— خارجيُّ

— أنا .. !

— مارق

— من ؟ أنا !

صرخَ الطفلُ في صدر أمي

(وأُمِّي محلولة الشعر واقفةً في ملابسها المنزلية)

— إخرسوا

واختبأنا وراء الجدارِ

— اخرسوا

وتسلَّلَ في الخلقِ خيطٌ من الدم .

كان أبى يمسكُ الجرحَ ،

يمسكُ قامته .. ومَهَابَتِهِ العائليَّةُ !

— يا أبى

— اخرسوا

وتواريت في ثوب أمي ، والطفلُ في صدرها مائتسٍ
ومضوا بأبى تاركين لنا اليم متشحاً بالحرس

(الورقة الرابعة)

أيها الشعرُ .. يا أيها الفرح . المُختَلَسُ

... ..

كل ما كنتُ أكتبُ في هذه الصفحة الورقية

صادرتَه العسَنُ

... ..

(الورقة الخامسة)

(الورقة السادسة)

لا تسألني إن كان القرآن
مخلوقاً أو أزلي
بل سألني إن كان السلطان
لصاً .. أو نصف نبي

(الورقة السابعة)

كنتُ في كربلاء
قال لي الشيخ أن الحسين
مات من أجل جرعة ماء
... ..
وتساءلتُ كيف السيوف استباححت بني الأكرمين
فأجاب الذي بصرته السماء
إنه الذهب المتلألئ في كل عين
... ..
إن تكن كلمات الحسين
وسيوف الحسين

... وأمي محادمةً فارسيه
يتناقل سادتها قهوة الجنسي وهي تدير الحطب
يتبادل سادتها النظرات لأردافها ..
عندما تثحنى لتضيء اللهب
يتندر سادتها الطيرون بلهجتها الأعجمية !

• • •

نائماً كنت جائها ، رأيْتُ ملاك القدس
ينحنى ، ويربّت وجنتها
وتراخى الذراعان عني قليلاً
وسارت بقلبي قشعريرة الصمت
— أمي ؛ وعادَ لي الصوت
— أمي ؛ وجاوبني الموت
— أمي ؛ وعانقتها .. وبكيت
وغامَ بي الدمعُ حتى احتبس !

• • •

وجلالُ الحسين
سَقَطَتْ دُونَ أَنْ تُنْقِذَ الْحَقُّ مِنْ ذَهَبِ الْأَمْوَاءِ
أَفْتَقِدِرُ أَنْ تُنْقِذَ الْحَقُّ ثُرُثُ الشُّعْرَاءِ
وَالْفَرَاثُ لِسَانُ مَنْ الدَّمُ لَا يَجِدُ الشَّفِيقِينَ ؟

• • •

مَاتَ مِنْ أَجْلِ جُرْعَةِ مَاءٍ •
فَاسْقِنِي يَا غِلَامُ صَبَاحَ مَسَاءِ
اسْقِنِي يَا غِلَامُ ..
عَلَنِي بِالْمَدَامِ ..
أَتَنَاسَى الدَّمَاءَ !

(١)

اللَّوْحَةُ الْأُولَى عَلَى الْجِدَارِ :
لَيْلِي « الدَّمَشْقِيَّة »
مِنْ شَرْفَةِ « الْحُمْرَاءِ » تَرْنُو لِمَغِيبِ الشَّمْسِ ،
تَرْنُو لِلخِيوطِ الْبُرْتَقَالِيَّةِ
وَكِرْمَةِ أُنْدَلُسِيَّةٍ ، وَفَسْقِيَّةٍ
.....
وَطَبَقَاتُ الصَّمْتِ وَالْغَبَارِ !
نَقَشُ
(مَوْلَايَ ، لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ !)

اللوحةُ الأخرى .. بلا إطار :
 للمسجد الأقصى .. (وكانَ قبلَ أن يحترقَ الرواق)
 وقبة الصخرة ، والبَرق
 وآية تآكلت حروفها الصغار !
 نقش

(مولاي ، لا غالب إلا .. اتار !)

اللوحةُ الدائمةُ الخطوط ، والواهيّةُ الخيوط :
 لعاشقٍ محترقِ الأجفانِ
 كان اسمه « سَرَحان »
 يمسكُ بندقيّة .. على شفا السَّقوطِ
 نقش

(بيني وبين الناسِ تلكَ « الشعرة »
 لكن من يقبضُ فوقَ الثورةِ
 يقبضُ فوقَ الجمرَةِ !)

اللوحةُ الأخيرة :
 خريطةٌ مبتورةُ الأجزاء
 كان اسمُها « سيناء »
 ولطخةٌ سوداءُ
 تملأُ كلَ الصورةِ

نقش

(الناسُ سواسيةٌ — في الدّل — كأُسنانِ المشطِ
 يتكسرون — كأُسنانِ المشطِ
 في لحيةِ شبيخِ النفطِ !)

• • •

كتابةٌ في دفتر الاستقبال :
 لا تسألِي النبلَ أن يُعطى وأن يَلدَا
 لا تسألِي .. أبدا
 لئنِ لأُفتَحَ عيني (حينَ أفتَحُها !)
 على كثيرٍ .. ولكن لا أرى أحدا !!

يبعون لسيارات أصحاب الملايين .. الرياحين
 وفي « المترو » يبعون الدبايس وه يس
 وينسلون في الليل يبعون « الجعارين »
 لأفواج الغزاة السائحين !

... ..
 هذه الأرض التي ما وَعَدَ اللهُ بها ..
 مَنْ خرجوا من صُلُبها ..
 وانغرسوا في تربها ..
 وانطرحوا في حُبها ..
 مُستشهدين !

... ..
 فادخلوها « بسلام » آمين !!

« خاتمة »

آه .. من يُوقِفُ في رأسى الطواحين ؟
 ومن يَنْزِعُ من قلبى السكاكين ؟
 ومن يَقْتُلُ أطفالى المساكين ..
 لئلا يكبروا في الشُّقَى المَفْرُوشَةِ الحمراء
 خدامين ..
 مأبوتين ..
 قوادين ..

من يَقْتُلُ أطفالى المساكين ؟
 لكيلا يصبحوا — في الغد — شحاذين ..
 يستجدون أصحاب الدكاكين
 وأبواب المرايين

أفتوال جديدة
عن
حرب البسوس

مقتل كليب « الرمايا العشر »

.. فنظر « كليب » حواله وتحمر ، وذرف دمعاً وتعبّر ، ورأى
عيداً واقفاً فقال له : أريد منك يا عبد الخير ، قبل أن تسليسي ، أن
تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير ، لأكتب وصيتي
إلى أخي الأمير سالم الزير ، فأوصيه بأولادي وقلدة كبدي ..

فسحبه العبد إلى قرب البلاطة ، والرمح غارس في ظهره ، والدم
يقطر من جنبه .. فغمس « كليب » إصبعه في الدم ، وشطّط على
البلاطة وأنشأ يقول ..

قصيدة الأمير سالم الزير

لاتصالح

(١)

لاتصالح !

.. ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك ،

ثم أثبت جوهريتين مكانهما ..

هل ترى .. ؟

هى أشياء لا تشتري .. :

ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك ،

حسكنا — فجأة — بالرجولة ،

هذا الحياء الذى يكيئ الشوق .. حين تعانقه ،

الصمت — مبتسمين — لتأنيب أمكما ..

وكانكما

ما تزالان طفلين !

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما :

أن سيفان سيفك ..

صوتان صوتك

أنك إن مت :

لليت رب

وللطفل أب .

هل يصير دمي — بين عينيك — ماء ؟

أتنسى ردائي الملطخ ..

تلبس — فوق دماي — ثياباً مطرزة بالقصب ؟

إنها الحرب !

قد تثقل القلب ..

لكن خلفك عاز العرب .

لا تصالح ..

ولا تتوخ الهرب !

(٢)

لاتصالح على الدم .. حتى بدم !
لاتصالخ ! ولو قيل رأس برأس ،
أكل الرؤوس سواء ؟ !
أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ !
أعيناه عينا أخيك ؟ !
وهل تتساوى يد .. سيفها كان لك
بيد سيفها أنكلك ؟

سيقولون :

جئناك كي تحقن الدم ..
جئناك . كن — بأمر — الحكم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم .
قل لهم : إنهم لم يرَاعوا العمومة فيمن هلك .
واغرس السيف في جبهة الصَّحراء ..
إلى أن يجيب القدم .
لأنني كنت لك .
فارساً .

وأخاً .
وأباً .
ومليك !

(٣)

لاتصالح ..
ولو حرمتك الرقاد
صرخات الندامة .
وتذكر ..

(إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السوداء ولأطفالهن الذين
تخاصمهم الابتسامة)
أن بنت أخيك « الجمامة »
زهرة تسربل — في سنوات الصبا —

بشباب الحداد .

كنت ، إن عدت :

تعدو على درج القصر ،
تمسك ساقى عند نزولسى ...
فأرفعها — وهى ضاحكة —
فوق ظهر الجواد .

ها هي الآن .. صامتة .

حرمها يدُ الغدير :

من كلماتِ أيها ،

أرتداءِ الثياب الجديدة ،

من أن يكون لها — ذات يوم — أخ !

من أب يتَّسَّم في عرسها ..

وتعود إليه إذا الزوجُ أغضبها ..

وإذا زارها .. يتسابق أحفاده نحو أحضانها ،

لينالوا الهدايا ..

ويلهوا بلحيته (وهو مستسلم)

ويشدوا العمامة .

لا تصالح !

فما ذنبُ تلك البجامة

لترى العشرُ محترقاً :. فجأة ،

وهي تجلس فوق الرماذ ؟ !

(٤)

لاتصالح

ولو تُوجوك بتاج الإمارة .

كيف تحفظو على جثة ابن أهلك .. ؟

وكيف تصير المليك ..

على أوجهِ البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر في يد من صافحوك ..

فلا تبصر الدَّم ..

في كلِّ كف ؟

ان سهماً أتانى من الخلف ..

سوف يحبك من ألف تخلف .

فالدُم — الآن — صار وساماً وشارة .

لاتصالح ،

ولو تُوجوك بتاج الإمارة

إن عرشك : سيف

وسيفك : زيف

إذا لم تزن — بذؤابته — لحظاتِ الشرف

واستطببت — الترف

لاتصالح

ولو قال مَنْ مال عند الصدام
« .. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام .. »
عندما يملأ الحق قلبك :

تدلع النار إن تَنفَسْ .
ولسان الخيانة يخرس .

لاتصالح ،

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام .
كيف تستنشق الرثائن السيم المذئس ؟
كيف تنظر في عيني امرأة ..
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟

كيف تُصَبِّح فارسها في الغرام ؟
كيف ترجو غداً .. لوليد ينام

— كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام
وهو يكبر — بين يديك — بقلب منكس ؟
لا اتصالح

ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام .

وارو قلبك بالدم ..
وارو التراب المقدس ..
وارو أسلافك الراقدين ..
الى أن ترد عليك العظام !

لاتصالح ،

ولو ناشدتك القبيلة

باسم حزين « الجليلة »

أن تسوق الدهاء ،

وتبدي — لمن قصدوك — القبول .

سيقولون :

ها أنت تطلب ثأراً يطول .

فخذ — الآن — ما تستطيع :

قليلاً من الحق ..

فى هذه السنوات القليلة .

إنه ليس ثأرك وحدك ،

لكنه ثأر جيل فجيل .

وعدا ..

سوف يولد من يلبس الدرع كاملة ،
يوقد النار شاملة ،
يطلب النار ،
يستولد الحق ،

من أضلع المستحيل .

لا تصالح ،

ولو قيل إن التصالح حيلة .
إنه النار .

تهب شعلته في الضلوع ..

إذا ما توالى عليها الفصول ..

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
فوق الجباه الذليلة ! .

(٧)

لا تصالح ، ولو حذرناك النجوم
ورمى لك كُهانها بالنبا ..
كنت أغفر لو أنى ميت ..

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ .
لم أكن غازياً ،

لم أكن أتسلل قرب مضاربهم

أو أحوم وراء التخوم

لم أمد يداً لئار الكروم

أرض بستانهم لم أطأ

لم يصح قاتلي : « التبة » !

كان يمشى معى ..

ثم صافحني ..

ثم سار قليلاً

ولكنه في الغصون أختبأ !

فجأة :

تَقَبَّضْنِي قَسْمِيرُهُ بَيْنَ ضُلْعَيْنِ ..

واهتر قلبى - كفقاعة - وانفأ .

وتحاملت ، حتى احتلمت على ساعدى

فرايت : ابن عمى الزنيم

واقفاً يتشفى بوجه لئيم

ليقتلنى . بمشيئته

ليس أُنْبَلُ مَنَى .. ليقتلنى يَسْكِينَتِهِ ،
ليس أَمْهَرُ مَنَى .. ليقتلنى باستدارته الماكِرة

لا تصالَحْ ،

فما الصلَحُ إلا معاهدةٌ بين نَدَّين ..

(فى شرف القلب)

لا تُنْقَضْ

والذى اغتالنى مُحَضُّ لَصْنٍ

سَرَقَ الأرضَ من بين عَيْنَيَّ

والصمْتُ يُطلِقُ ضحكته السَّاخِرَةَ !

(٩)

لا تصالَحْ ،

ولو وَقَفْتَ ضِدَّ سَيْفِكَ كُلِّ الشُّيُوخِ ،

والرجالُ التى ملأَتْها الشُّرُوحُ ،

هؤلاء الذين يُحِبُّونَ طَعْمَ التَّيْدِ ،

وامتطاءَ العَيْدِ ،

لم يكن فى يدي حربةٌ ،

أو سلاحٌ قديمٌ ،

لم يكن غيرُ غِيظِي الذى يَتَشَكَّى الظُّمَأُ .

(٨)

لا تصالَحْ ،

إلى أن يعودَ الوجودُ لدورته الدائرة :

التجوُّمُ .. لميقاتِها

والطُّيُورُ .. لأصواتِها

والرمالُ .. لذراتِها

والقتيلُ لطفلته الناضرة .

كُلُّ شَيْءٍ تَحْطُمُ فى لحظةٍ عابرة :

الصبا — بهجةِ الأهلِ صوتِ الحصان — التعرفُ بالضييف — مهممةُ

القلبِ حين يرى برعماً فى الحديقة يندى — الصلاةُ لكى ينزَلَ المَطَرُ

الموسمى — مراوغةُ القلبِ حين يرى طائرَ الموتِ

وهو يرفُفُ فوق المبارزةِ الكاسرة .

كُلُّ شَيْءٍ تَحْطُمُ فى نزوةٍ فاجرة .

والذى اغتالنى : ليس رُبّاً ..

هؤلاء الذين تدلّت عمائمهم فوق أعينهم ،
وسيوفهم العريّة قد نسيّت سنواتِ الشموخ
لا تصالّح ،

فليس سوى أن تريّذ .

أنت فارسُ هذا الزمانِ الوحيدِ
وسواك .. المسوخ !

((١٠))

لاتصالّح
لاتصالّح !

« فلما جاءته الوفود ساعية الى الصلح ، قال لهم الأمير سالم
أصالح اذا صالحت اليمامة . فقصدت الى اليمامة أمها الجليلة ومن معها
من نساء سادات القبيلة ، فدخلن اليها ، وسلمن جميعا عليها ، وقبّل
الجليلة بنتها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلكت رجالنا وساءت أحوالنا
وماتت فرساننا وأبطالنا . فأجابتها اليمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يبق
أحد يقدر أن يكافح .. »

نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧٦

أبى .. لا مزيد !

أريد أنى ، عند بوابة القصر ،

فوق حصان الحقيقة ،

منتصباً .. من جديد

...

ولا أطلب المستحيل ، ولكنه العدل :

هل يرث الأرض إلا بنوها ؟

وهل تتناسى البساتين من سكنوها ؟

وهل تتنكر أغصانها للجنود ..

(لأن الجنود تهاجر في الاتجاه المعاكس ؟ !

هل تترغم قيثار الصمت ..

الا إذا عادت القوس تذرغ أوتارها القصية ؟

والصدور ! حتى متى ينحمل أن يحبس القلب ..

قلبي الذى يشبه الطائر الدموى الشريد ؟

... ..

هى الشمس ، تلك التى تطلع الآن ؟

أم أنها العين - عين القتل - التى تتأمل شاخصة :

دمه يترسب شيئاً فشيئاً ..

ويخضر شيئاً فشيئاً ..

فتطلع من كل بقعة دم : فم قرمزى ..

وزهره شر ..

وكفان قابضتان على منجل من حديد ؟

هى الشمس ؟ أم أنها الناج ؟

هذا الذى يتقل فوق الرؤوس الى أن يعود

الى مفترق الفارس العربى الشهيد ؟

... ..

أقول لكم : أيها الناس كونوا أناسا !

هى النار ، وهى اللسان الذى يتكلم بالحق !

ان الجروح يطهرها الكى ،

والسيف يصفله الكثير ،

والخبر يثضجه الوهج ،

لاتدخلوا معمدانية المياء ...

بل معمدانية النار ..

كونوا لها الحطب المشتهى والقلوب : الحجارة ،

كونوا .. الى أن تعود السماوات زرقاء ،

والصحراء بثولا ..

تسير عليها النجوم محملة بسلال الورود .

... ..

أقول لكم : لا نهاية للنوم ..

هل في المدينة يضرب بالبوق ، ثم يظل الح-

على سرير النوم ؟

هل يرفع الفخ من ساحة الحقل .. كى تطمئن العصاب-

ان الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للثعابين ..

حتى يسود السلام

فكيف أقدم رأس أى ثمنا ؟

من يطالبني أن أقدم رأس أى ثمنا .. ثم القوافل آمنة

وتبيع بسوق دمشق : حريرا من الهند ،

أسلحة من بخارى .

وتبتاع من بيت جالا العبيد

« مرأى الحمامة »

صار ميراثنا في يد الغرباء .

وصارت سيوف العدو : مقوف منازلنا .

نحن عباد شمس يثير بأوراقه نحو أزقة الظل .

إن التويج الذى يتناول :

يخزق هامته السقف ،

يخطر قامته السيوف ،

إن التويج الذى يتناول :

يسقط في دمه المنسكب !

نستقى — بعد خيل الأجانب — من مياء أبارنا .

صوف حملاننا ليس يلتف إلا على مغزل الجزية .

النار لاتوهج بين مضاربنا .

بالعيون الخفيفة نستقبل الضيف .

أَبْكَارُنَا ثِيَابٌ ..
وَأَوْلَادُنَا لِلْفَرَّاشِ ..

وَدَرَاهِمُنَا فَوْقَهَا صُرَّةَ الْمَلِكِ الْمُعْتَصِبِ .
أَيَادِي الصَّبَايَا الْخَنَائِنُ تَضُمُّ عَلَى صَدْرِهِ نَصْفَ ثَوْبٍ .
وَتَبْقَى عَيُونُ كَلِيبٍ مَسْمُورَةٌ فِي شَوَاشِي الْجَنَائِنِ .

أَسْأَلُ :

مَنْ لِلصَّغَارِ الَّذِينَ يَطِيرُونَ — كَالثُّخَيْلِ — فَوْقَ الْغَلَالِ ؟
وَمَنْ لِلْعَذَارَى اللَّوَاتِي جَعَلْنَ الْقُلُوبَ :
قَوَائِرَ تَحْفَظُ رَائِحَةَ الْبَرْتَقَالِ ؟

وَمَنْ سَيَرُوضُ مُهَرَّ الْخِيَالِ ؟
وَمَنْ سَيَضْمَدُ — فِي آخِرِ الصَّيْدِ — جُرْحَ الْغَزَالِ ؟
وَمَنْ لِلرَّجَالِ ..

إِذَا قِيلَ « مَا نَسَبُ الْقَوْمِ » ؟ ...
فَانْسَكَبْتُ فِي خَلُودِ الرَّمَالِ دَمَوْعُ السُّؤَالِ ؟
بَنَاتُ أُمِّي — الزُّهْرَاتُ الصَّغِيرَاتُ — يَسْأَلُنِي

لَمْ أَبْكِي أَبِي !
وَيَكُونُ مِثْلِي ،

وَيَحْلِدُنَ لِلثُّومِ حِينَ أَغَالِبَ دَمْعِي ،

وَأُرْوِي لَهْنَ الْحَكَايَا
عَنْ الْمَلِكِ النَّسْرِ
وَالْمَلِكِ الثَّعْلَبِ

فَإِنْ يَمَنَّ .. جَاءَ أُمِّي .. لِيَهْزُ الْأَرَاخِصَ ..
يَلْمُسُ وَجَنَاتِهِنَّ ..
وَيُعْطِي لَهْنَ اللَّعْبَ ..

وَيَمْضِي .. وَعَيْنَاهُ مَسْبُورَتَانِ ..
وَسَاقَاهُ تَشْتَكِيَانِ التَّعَبَ ..

أَبِي ظَامِئٌ يَارِجَالِ

أَرْبِقُوا لَهُ الدَّمَ كَيْ يَرْتَوِي .
وَصَبُّوا لَهُ جَرْعَةً جَرْعَةً فِي الْفَوَادِ الَّذِي يَكْتَوِي
عَسَى دُمُهُ الْمَتَسَرَّبُ بَيْنَ عُرُوقِ النَّبَاتَاتِ ،

بَيْنَ الرَّمَالِ ..

يَعُودُ لَهُ قَطْرَةٌ قَطْرَةً ..
فَيَعُودُ لَهُ الزَّمَنُ الْمُنْطَوِي .

.....

خصومة قلبي مع الله .. ليس سواه
أبي أخذ الملك سيفاً لسيف ، فهل يؤخذ الملك
منه اغتيالاً ،

وقد كللته يدا الله بالتاج ؟ !

هل تنزع التاج إلا اليدان المباركتان ،

وهل هان ناموسه في البرية

حتى يتوج لص .. بما سرقته يداه ؟

خصومة قلبي مع الله ..

إني أنزه سهم منيته أن يجيء من الخلف ،

إن الذي يطلق السهم ليس هو القوس ..

بل قلب صاحبه ،

والذي يجعل النفس تستقبل الموت راضية .. تبلى واهبه

فأنا أرفض الموت غدراً ..

فهل نزل الله عن سهمه الذهبي لمن يستهين به .

هل تكون مكان أصابعه .. بصمات الخطاه ؟

خصومة قلبي مع الله .. ليس سواه !

كليب يموت ..

ككليب تصادفه في الفلاة ؟

إذن فلماذا كسا وجهه الصورة الآدمية ؟

هل كرم الله أنسائه ؟

مات من مات كليباً .. فأين إذن ذهب الآدمي الذي

قد برأه ؟

خصومة قلبي مع الله

قلبي صغير كفستقه الحزن .. لكنه في الموازين

أثقل من كفة الموت

هل عرف الموت فقد أبيه ،

هل اغترف الماء من جئول الدمع ،

هل ليس الموت ثوب الحيداد الذي حاكه .. ورماه ؟

خصومة قلبي مع الله

أين وريث أبي ؟

ذهب الملك ،

لكن لاسم أبي حق أن يتناقله أبنه عنه

فكيف يموت أبي مرتين ؟

أيتها الأنجم المتلونة الوجه :

قولى له :

قد سلبت حياتين ..

أبقى حياته ..

وردّ حياته ..

خصومة قلبي مع الله .

هذا الكمال الذى خلق الله هيأته ،

فكسا العظم بالذخيم ،

ها هو : جسماً — يعود له — دون رأس ،

فهو تقبل يوبى : النيب ما شابه العيب ،

أم أن وجه العدالة :

أن يرجع الشئ للأصل ،

أن يرجع البعد للقبل ،

أن ينهض الجسد المتمزق مكمل الظل

حتى يعود إلى الله .. متحداً فى بهاء ؟

(٣)

يجيء أخى

هل عباءة الريح ؟

هل سيفه السرق ؟

هل يتمنطق فوق جواد السحاب ؟

يجيء أخى !

غافلاً عن كتاب المواريث

عن دمو الملكى ،

عن الصولجان الذى صار مقبضه العاج :

رأس غراب !

يجيء أخى .

(كان يعرفه القلب !)

أقذف تفاحة

يتصدى لها وهو يطحنها بالركناب !

(هى الخطأ البشرى الذى حرم النفس فردوسها

الأول المستطاب)

أنسى ، فأقذف تفاحة ..

تستقر على رأس حرتيه !

(أيها الوطن المستدير .. الذى تثقب الحرب عذرتيه

بالحراب)

.. وتفاحة تلتفها يده !

(هى جوهرة الملك ،

جوهرة العدل ،

جَوْهَرَةُ الْحَبِّ ..
فَالْحَبُّ آبُ !

... ..

قَلْبُوبُ ثَلَاثِيَّةٌ شَارَةُ الزَّمَنِ الْقَادِمِ الْمُسْتَجَابِ
قَفُّوا يَا شَبَابِ !

لَمَنْ جَاءَ مِنْ رَحِمِ الْغَيْبِ ،
نَحَاضُ بِسَاقِيهِ فِي بَرَكَةِ الدِّمِ ،
لَمْ يَتَأَثَّرْ عَلَيْهِ الرِّشَاشُ ،
وَلَمْ تَبْدُ شَائِبَةٌ فِي الثِّيَابِ !

قَفُّوا لِلْهَلَالِ الَّذِي يَسْتَدِيرُ ..

لِيَصْبَحَ هَالَاتِ نَوْرِ عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَبَابِ !

قَفُّوا يَا شَبَابِ !
كَلِيبٌ يَعُودُ ..

كَعْنَقَاءُ قَدْ أَحْرَقَتْ رِيشَهَا
لِتُظَلِّلَ الْحَقِيقَةَ أَبْيَى ..

وَرَجَعَ حَلَّتْهَا — فِي سَنَا الشَّمْسِ .. أَزْهَى ..
وَتَفَرَّدَ أَجْنَحَةُ الْغَيْدِ ..

فَوْقَ مَدَائِنٍ تَنْهَضُ مِنْ ذِكْرِيَاتِ الْخَرَابِ !!

« أَشَارَاتُ تَارِيخِيَّةٌ »

البسوس :

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين قيس ، وأشعلت الحرب أربعين سنة ، وأثارت بنى بكر على بنى تغلب ، وحملت اسمها الملحمة . وهي كما تقول الرواية (شاعرة عجوز من عجائب الزمان ، ذات مكر واحتيال وخداع) . وكان لها أربعة أسماء (سعاد .. تاج .. بخت .. هند . البسوس) وهي أخت الملك حسان التيماني الذي قتله الأمير كليب م أجل أبنه عمه وخطيبته الجليلة .

كليب بن ربيعة :

اسمه وائل وكليب لقبه ، نشأ في حجر أبيه ، ودرب على الحرب ، ثم تولى قيادة الجيش لبكر وتغلب زمنا .. « فكان ليث الصدام وثينة الليالي كما تقول الرواية .

تليدة بنت مرة :

وقد اختصمت مع امها لانها أخت قاتل كليب .. حتى رحله
الجليلة مع قومها .

شاعره .. أهنة عم كليب وزوجته التي انجبت له سبعة بنات
ولدت بعد موته هو (المهجرس) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها جساس خرجت من
نخلب وتنقلت مع بنى شيبان قومها مدة حروبهم حتى ماتت .

سامة :

كبرى بنات كليب .. تقول الرواية انها رفضت الدية في أبي
انت تقول :

« أنا لا أصالح حتى يقوم والدي
ونسراه راكب يهد لقاكم »

سالم بن صرة :

عندما أعلنته إمامة وصية أبيها قال : انى لا اصالح الى الابد ما
دامت روحي في هذا الجسد .

ابن عم لكليب وقاتله بعد ان نجحت البسوس (التى اقامت في
يافقه) في أن تثير الفتن : بأن أمرت عبيدها أن يطلقوا ناقتها الجرد .
بى في البستان المعروف بحى كليب . وتدمر الاشجار والاسوار ..
نئى أمر كليب بذبح الناقة . ويقال أن جساسا هو آخر قتيل في
رب البسوس التى استمرت منذ مقتل كليب وحتى مصرع جساس
مين عاما :

لهل بن ربيعة :

هو سالم الملقب بالزير أو أبو ليلى المهلهل الكبير .. أخو
يب وبطل السيرة والملحمة .. يصفه الرواه : (بالامد الكرار والبطل
بغوار صاحب الاشعار البديعة والوقائع المبهولة المريعة) .

« تذييل »

« حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي استمر أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العرفي القتييل للأرض العربية السلبية التي تريد أن تعود الى الحياة مرة أخرى ولا سيلا لعودتها أو بالأحرى لاعادتها الا بالدم .. وبالدم وحده ..

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة ، استحضرت شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلي شهادتها التاريخية حول رغبة الخاصة .. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادات مختلفة عن شهادة الأخرى ..

لقد استحضرت الملك كليب نفسه في ساعاته الأخيرة ، وأدنت الجحمة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها وكذلك فعل المهلهل الذي قاد الحرب انتقاما له .. وقدمت شهادة جساس مع تبهيراته الجريئة في

شهادة جلييلة بنت مرة الممزقة بين البطلين .. « زوجها وأخوها » ثم أتيت بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دورا معلقا على الأحداث ..

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ١٩٨١

والديوان بصورته، الاخيرة هذه .. يحتوى على شهادتين قصيدتين فقط هما : « الوصايا العشر ، وأقوال الإمامة ومراثيها » . كتبت قصائده ما بين (١٩٧٦ — ١٩٧٧) .

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التي تحدث عنها أمل فقد ظلت تتبدل وتتغير يوما بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقب الشاعر باكتمالها النهائي ، ذلك على الرغم من اكتمال اجزاء كثيرة منها في ذاكرة الشاعر (الذي لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن ينتج باكتمالها الأخير)

ومات أمل قبل أن تكتمل شهاداته (قصائده) في ذبح المبدع ، وقبل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغه ابداعية أخيرة ، وقبل أن ينتقم الزير لمقتل أخيه كليب ، وقبل أن تضيع الحروب اوزارها ، لتضل الرؤيا باحثة عن حل يكتمل في الابداع ، أو يتحقق في الواقع .

* * *

أوراق الغرفة [٨]

الورقة الأخيرة الجنونى

صورة

هل أنا كنت طفلاً ..
أم ان الذى كان طفلاً سوى ؟
هذه الصور العائلية ..
كان أبى جالساً ، وأنا واقف .. تتدلى يداى !

رفسة من قَرَس
فَرَكْتُ فى جيبى شجأ ، وعَلِمْتُ القلب أن يحترس .
أتذكر ...
سال دمي
أتذكر ..
مات أبى نازفاً .

أتذكر ..

هذا الطريق إلى قبره ..

أتذكر ..

أختى الصغيرة ذات الريعين .

لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها

المنطمس

أو كان الصبى الصغير أنا ؟

أم ترى كان غيرى ؟

أحذق ..

لكن تلك الملامح ذات العذوبة .
لا تنتمى الآن لى .
والعيون التى تترقرق بالطيبة
الآن لا تنتمى لى .
صرْتُ عنى غريبا .
ولم يتبق من السنوات الغريبة
إلا صدى اسمى ..

وأسماء من أتذكّزهم — فجأة —

بين أعمدة النعْي ،

أولئك الغامضون : رفاق صباي .

يقبلون من الصمت وجهاً فوجها ..

فيجتمع الشمل كل صباح ،

لكي نائنس .

وجه

كان يسكن قلبي

وأسكن غرفته

نتقاسم نصف السرير ،

ونصف الرغبة ،

ونصف اللقافة ،

والكتب المستعارة .

هجرته حبيبته في الصباح فمزق شريانه في المساء ،

ولكنه بعد يومين مزق صورتها ..

واندهش .

لم ينخدش .

واستراح من الحرب ..

عاد ليسكن بيتا جديداً

ويكسب قوتا جديداً

يدخن علبة تبغ بكاملها

ويمجادل أصحابه حول أبحرة الشاي ..

لكنه لا يطيل الزيارة :

عندما احتقنت لوزتاه ، استشار الطبيب ،

وفي غرفة العمليات ..

لم يصلحب أحداً غير تحف ..

وأنبوبة لقياس الحرارة ،

فجأة مات !

لم يحتمل قلبه سريان المخدر ،

وانسحبت من على وجه سنوات العذابات ،

عاد كما كان طفلاً ..

صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا .. في العراء

بشاركني في سريري
وفي كسرة الخبز ، والتبغ ،
لكنه لا يشاركني .. في المرارة !

وجه

وجه

ليت « أسماء » تعرف أن أباه صعد
لم يمض
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبد !
وكان الشراب نفد !
وكان النبات الجميلات يمشن فوق الزبد !
عاش منتصباً ، بينما
ينحنى القلب يبحث عما فقد .
ليت « أسماء » تعرف أن أباه الذي ..
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره :
وهو يضحك ،

من أقاصي الجنوب أتى ، عاملاً
للبناء
كان يصعد « سقالة » ويغنى لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهى قريب ،
وبالأعين الشاردة ..
كنت أقرأ نصف الصحيفة ،
والنصف أخفى به وسخ المائدة .
لم أجد غير عيتين لا تبصران ..
وخيط الدماء .
وانحنيت عليه .. أجس يده
قال آخر : لا فائدة

وهو يفكر ،

وهو يفتش عما يقيم الأود .

ليت « أسماء » تعرف أن البنات الجميلات ..

تجبانه بين أوراقهن ،

وعلمته أن يسير ..

ولا يلتقى بأحد !

مرآة

— هل تريد قليلاً من البحر ؟

— إن الجنوى لا يطمئن إلى اثنين يا سيدى :

البحر — والمرأة الكاذبة .

— سوف آتيك بالرمل منه

... وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ،

فلم أستبته

— هل تريد قليلاً من الخمر ؟

— إن الجنوى يا سيدى يتهبب شيئين :

قنينة الخمر — والآلة الحاسبة .

— سوف آتيك بالثلج منه .

وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ...

فلم أستبته .

بعدها لم أجد صاحبي

لم يعد واحد منهما لى بشئ

— هل تريد قليلاً من الصبر ؟

— لا ..

فالجنوى يا سيدى يشتهي أن يكون الذى لم يكن

يشتهي أن يلاقى اثنين :

الحقيقة — والأوجة الغائبة .

ضد من

في غُرفِ العمليات ،
كان نقابُ الأطباء أبيض ،
لونُ المعاطف أبيض ،
تأجُ الحكيمات أبيض ، أرديةُ الراهبات ،
الملاءاتُ ،
لونُ الأسرة ، أربطةُ الشاش والقطن ،
قرصُ النوم ، أنبوبةُ المصل ،
كوبُ اللبن .
كُلُّ هذا يشيعُ بقلبي الوهن .
كلُّ هذا البياض يذكرني بالكفن !
فلماذا إذا متُّ ..

يأقَى المعزُون متشجين ..

بشارات لونِ الحداد ؟

هل لأن السواد ..

هو لونُ النجاة من الموت ،

لونُ التميمة ضد .. الزمن ،

ضد من .. ؟

ومتى القلب — في الخفقان — اطمأن !؟

بين لونين : أستقبل الأصدقاء ..

الذين يرون سريري قبرا

وحياتي ... دهرا

وأرى في العيون العميقة

لونَ الحقيقة

لونَ تراب الوطن !

زهور

ثم أفاقت على عَرَضِهَا في زجاج الدكاكين ، أو بين أيدي
المنادين ،

حتى اشترتها اليدُ المفضلةُ العابرةُ

تتحدث لي ..

كيف جاءت اليّ ..

(وأحزائها الملكيةُ ترفع أعناقها الخضراء)

كي تتمنى لي العمر !

وهي تجود بأنفاسها الآخرة !!

كلُّ باقة ..

بين إغماءة وإفاقة

تتنفس مثلي — بالكاد — ثانية .. ثانية

وعلى صدرها حَمَلَتْ — راضية ..

اسمَ قاتليها في بطاقة !

وسلايل من الورد ،

ألمحها بين إغماءة وإفاقة

وعلى كل باقة

اسمُ حاملها في بطاقة

... ..

تتحدث لي الزهراءُ الجميلةُ

أن أعينها اتسعت — دهشة —

لحظة القطيف ،

لحظة القصيف ،

لحظة إعدامها في الخميعة !

تتحدث لي ..

أنها سقطت من على عرشها في البساتين

السريـر

أوهمنى بأن السريـر سريـرى !

أن قارب « ربح »

سوف — يحملنى عبر نهر الأفاعى

لأولـد فى الصبح ثانية .. إن سَطَنَ

(فوق الورق المصقول

وضعوا رقمى دون اسم

وضعوا تذكرة الدم

واسم المرض المجهول)

أوهمنى فصَدَّقْتُ ..

(هذا السريـر

ظننى — مثله — فاقد الروح

فالتصقت بى أضلاعـه

والجمادُ يضمُّ الجمادَ ليحييـه من مواجهة الناس !

صيرتُ أنا والسريـر ..

جسداً واحداً .. فى انتظارِ المصير !

(طولَ الليالـى الألف

والأذرعـة المعدنـ

تلتف وتتمكـن

فى جسدى حتى النزف

صيرتُ أقدرُ أن أتقَلَّبَ فى نومتى واضطجاعى

أن أحرِّك نحو الطعام ذراعى ..

واستبان السريـر خداعى ..

فارتعش !

وتداخل — كالقنفذ الحجريـ — على صمته وانكـمـش

قلتُ : يا سيدى .. لَمَ جافيتنى ؟

قال : ها أنت كلمتى ..

وأنا لا أجيـب الذين يمرون فوق

سوى بالانين
فالأُسْرَةُ لا تستريح إلى جسدٍ دون آخرِ
الأُسْرَةُ دائمةٌ

والذين ينامون سرعان ما ينزلون
نحو نهر الحياة لكي يسبحوا
أو يغوصوا بنهر السكون !

لعبة النهاية

في الميادين يجلس ،
يطلق — كالطفل — نبلته بالخصي ..
فيصطلي بها من يصيب من السابلة !

يتوجه للبحر ،
في ساعة المد :
يطرح في الماء سنارة الصيد ،
ثم يعود ..
ليكتب أسماء من علقوا
في أحابله القاتلة !
لا يحبُّ البساتين ..

لكنه يتسلل من سورها المتآكل ،
يصنع تاجاً :

جواهره .. الثمر المتعفن ،
إكليله .. الورق المتعفن ،
يلبسه فوق طوق الزهور

الخريفية
الذابلة !

يتحول : أفعى .. ونايا
فيرى في المرايا ::

جسدين وقلبين متحدتين ،
(تَغِيْمُ الزوايا
وتحكي العيون حكايا)
فينسل بينهما ..

مثل خيط من العرق المتفصّد ،
يلعق دفاء مسامهما ،
يغرس الناب في موضع القلب :
تسقط رأس الفتى في الغطاء ،

وتبقى الفتاة ..

محدقة

ذاهلة .. !

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري
ممسكاً — بيد — كوب ماء
ويد — محبوب اللواء
فتناولتها .. !
كان مبتسماً
وأنا كنت مستسلماً
لمصري !!

عن لذة الاغتراب
وعبودية الأغصن الثابتة .

(٢)

أخذوا أصدقائي للسجن ،
لكنهم في ليالى الحنين
يقبلون ، لنشرب كأسين ..
في البار ذى الردهة الخالية
فاذا دقت الساعة الثانية

صفق الخدم المتعبون
فاختفى أصدقائي وهم يضحكون
— نلتقى ثانية
— نلتقى الليلة التالية ..

... ..

بعدها خرجوا : انقطع الخيط ما بيننا
واستطال السكون
كان ما بينهم : ذكريات .. ونخبز مرير
ومسحة حزن

ديسمبر

(١)

تساقط أوراق « ديسمبر » الباهتة !

... ..

هو عَمَرٌ من الريح
(هذا الذى بين أن تترك الزُرْقَةُ الغصنَ
حتى تلامسَ أطرافها حافة الأرض)
عمرٌ من الاضطراب
فافتش جوارى — أيتها الباحثات عن الذات —
وجه التراب
وتعالين .. نروِ الأقاصيص ..
عن راحة الروح

قلت : ها أصبحوا ورقا ثابتا في شجرة سجن
فمتى يفلتون
من الزمن المتوقف في ردهات الجنون ؟

(٣)

هاهو الرُّخُّ ذو الخليلين يحوم ..
ليحمل جثة ديسمير الساخنة
ها هو الرخ يهبط ..
والسحب تلقى على الشمس طرحتها الداكنة

قالت الراهبات :

(سلامٌ على الأرض !)

يا أيها الرُّخُّ : كم جثة حملتها غنايلك الأبدية خلف الجبل ؟؟

ما الذي نحن نعطيك — يا أيها الرخ — منذ الأزل ؟

ما الذي نحن نعطيك ؟

لا شيء إلا تواييت ، لا شيء ،

إلا المبادلة الخائبة .

جثث تتراكم في الضفة الساكنة

بيننا نحن — نمتلك النور
عشب البحيرات — صوت الكناريات —
مجالسة الورد — أنشودة المهد — رقص
البنات الصغيرات في العرس — تمتمة
القط في الصلوات — خرير البنايع —
هذا التساؤل عن لون عيني عاشقتين ،
كنافذتين على البحر — طعم القبل ؛
بيننا أنت من ظلمة العدم الآسنة
تتلقى النفايات تلو النفايات دون كلل
عاجزا عن ملازمة الفرح العذب ،
عن أن تبل جناحك في مطر القلب
أن تتطهر بالركة الفاتنة !!

(٤)

قلت للورق المتساقط من ذكريات الشجر
إنني أترك الآن — مثلك — بيتي القديم
حيث تلقى بى الريح أرسو —

وليس معي غيرُ :

حزنى المقيم
وجواز السفر !

الطيور

(١)

الطيورُ مشردةٌ في السمواتِ ،
ليس لها أن تحط على الأرض ،
ليس لها غير أن تتقاذفها فلوأُت الرياح !
ربما تنزلُ ...
كى تستريحَ دقائق ..
فوق النخيل — النجيل — التماثيل —
أعمدة الكهراء —
حواف الشبايك والمشربيات
والأسطح الخرسانية .
(اهدأ ، ليلتقط القلبُ تنهيدةً ،

والنمُ العذبُ تغريدةً ،

والقط الرزق ..)

سرعان ما تنفزع ..

من نقلة الرجل ،

من نبلة الطفل ،

من مبلة الظل عبر الحوائط ،

من حصوات الصياح !

الطيور معلقة في السموات

ما بين أنسجة العنكبوت الفضائي : للريج

مرشوقة في امتداد السهام المضئية

للشمس ،

(رفرف ..

فليس أمامك —

والبشر المستبحون والمستباحون : صاحون —

ليس أمامك غير الفراز ..

الفراز الذي يتجدد .. كل صباح !)

(٢)

والطيور التي أقعدتها مغالطة الناس ،

مرّت طمأنينة العيش فوق مناسيرها ..

فانتحّت ،

وبأعينها .. فارتحّت ،

وارتضت أن تقاؤه حول الطعام المتأخ

ما الذي يبقى لها .. غير سكينه الذبيح ،

غير انتظار النهاية .

إن اليد الآدمية .. واهبة القمح

تعرف كيف تسن السلاح !

(٣)

الطيور .. الطيور

تحتوى الأرض جثاتها .. في السقوت الأخير !

والطيور التي لا تطير ..

ضوت الريش ، واستسلمت

هل تُرى علمت

أن عمر الجناح قصير .. قصير !

الجنأُ حياة
والجنأُ ردى .
والجنأُ نجاة ..
والجنأُ .. سدى !

الخيول

(١)

الفتوحات — فى الأرض — مكتوبة بدماء الخيول .
وحدود الممالك
رسمتها السنايك .
والركابان : ميزان عدل يميل مع السيف ..
حيث يميل !

أركضى أو قفى الآن .. أينها الخيل :
لست المغيرات صُبحا
ولا العاديات — كما قيل — صُبحا

ولا خضرة في طريقك تحي
ولا طفل أضحي

إذا ما مررت به .. يتحى ؛
وها هي كوكبة الحرس الملكي ..
تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات
بدق الطبول .

اركض كالسلاحف
نحو زوايا المتاحف ..
صيرى تمثيل من حجج في الميادين
صيرى أراجيح من خشب للصغار — الرياحين ،

صيرى فوارس حلوى بموسمك النبوي ،
وللصبية الفقراء : حصاناً من الطين
صيرى رسوماً .. ووشماً
تجف الخطوط به
مثلما جف — في رثيك — الصهيل !

(٢)

كانت الخيل — في البدء — كالناس

برية تتراكم عبر السهول
كانت الخيل كالناس في البدء ...
تمتلك الشمس والعشب
والملكوت الظليل
ظهرها .. لم يوطأ لكي يركب القادة الفاتحون ،
ولم يلمن الجسد الحر تحت سياط المروض
والفم لم يمثل للجمام ،
ولم يكن الزاد .. بالكاد ،
لم تكن الساق مشكولة ،
والخوافر لم يك يثقلها السنبك المعدني الصقيل .

كانت الخيل برية
تتنفس حرية
مثلما يتنفسها الناس

وفي ذلك الزمن الذهبي النبيل

..

أركضى.. أو قفى

زمن يتقاطع

واخترت أن تذهبي في الطريق الذى يتراجع

تنحدر الشمس

ينحدر الأمسي

تنحدر الطرق الجبلية للهوة اللانهائية :

الشهب المتفحمة

الذكريات التى أشهرت شوكها كالقنايف

والذكريات التى سلخ الخوف بشرتها .

كل نهر يحاول أن يلمس القاع

كل النيايح إن لمست جدولاً من جداولها

تختفى

وهى .. لا تكتفى !

فأركضى أو قفى

كل درب يقودك من مستحيل إلى مستحيل !

(٣)

الخيل بساط على الريح ..

سار — على متنه — الناس للناس عبر المكان

والخيول جدار به انقسم

الناس صنفين :

صاروا مشاة .. وركبان

والخيول التى انحدرت نحو هوة نسيانها

حملت معها جيل فرسانها

تركت خلفها : دمعة الندم الأبدى

وأشباح خيل

وأشباح فرسان

ومشاة يسرون — حتى النهاية — تحت ظلال الهوان .

أركضى للقرار

وأركضى أو قفى في طريق الفراق .

تساوى محصلة الركض والرفض في الأرض ،

ماذا تبقى لك الآن ؟

ماذا ؟

سوى عرق يتصبّب من تعب

يستحيل دنائير من ذهب

في جيوب هُوّة سلااتك العربية

في حلبات المراهنة الدائرية

في نزهة المركبات السياحية المشتهرة

وفي المتعة المشتركة

وفي المرأة الأجنبية تعلوك تحت

ظلال أنى الهول ..

(هذا الذى كسرت انقه

لعنة الانتظار الطويل)

استدارت — إلى الغرب — مزولة الوقت

صارت الخيل ناساً تسير إلى هُوّة الصمت

بينما الناسُ خيلٌ تسير إلى هوة الموت !

جاء طوفانُ نوح !

... ..

المدينة تغرق شيئاً .. فشيئاً

تقرّ العصافير ،

والماء يعلو .

على درجات البيوت — الحوانيت — مبنى البريد —

التمائيل (أجدادنا الخالدين) — المعابد — أجولة القمح

مستشفيات الولادة — بوابة السجن — دار الولاية —

أروقة الثكنات الحصينة .

العصافير تجلو ..

رويداً ..

رويداً ..

ويطفو الإوزُ على الماء ،

يطفو الأثاث ..

ولعبة طفل ..

وشهقة أم حزينة

الصبايا يلوحن فوق السطوح !

ناء طوفان نوح .

ا هم « الحكماء » يفرّون نحو السفينة

المغنون — سائس خيل الأمير — المرابون —

قاضى القضاة

.. ومملوكه ! —

فامل السيف — راقصة المعبد

(اتجهجت عندما انتشلت شعرها المستعار)

— جباة الضرائب — مستوردو شحنات السلاح —

بشيق الأميرة فى سمته الأثوى الصبوح !

ناء طوفان نوح .

ا هم الجبناء يفرّون نحو السفينة .

بنا كنت ..

كان شباب المدينة

يلجمون جواد المياهِ الجموح

ينقلون المياة على الكتفين .

ويستبقون الزمن

يبتون سلود الحجارة

عَلَهُمْ ينقدون مهاذ الصبا والحضارة

عَلَهُمْ ينقدون .. الوطن !

.. صاح فى سيد الفلك — قبل حلول

السكينة :

« انج من بلد .. لم تعد فيه روح ! »

قلت :

طوبى لمن طعموا خبزه ..

فى الزمان الحسن

وأداروا له الظهر

يوم الحزن !

ولنا المجد — نحن الذين وقفنا

(وقد طمس الله اسماءنا !)

نتحدى الدمار ..
ونأوى إلى جبل لا يموت

(يسمونه الشعب !)

نأى الفرار ..
ونأى النزوح !

... ..

... ..

... ..

كان قلبى الذى نسجته الجروح
كان قلبى الذى لعنته الشروح
يرقد — الآن — فوق بقايا المدينة
وردة من عطن
هادئا ..

بعد أن قال « لا » للسفينة
.. وأحب الوطن !

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنت تسترخى أخيرا ..
فوداعاً ..

يا صلاح الدين .
يا أيها الطبل البدائي الذى تراقص الموق
على إيقاعه المجنون .
يا قارب الفلين

للغرب الغرق الذين شتتهم سفن القراصنة .
وأدركتهم لعنة الفراعنة .
وسنة .. بعد سنة ..

صارت لهم « حطين » ..
ثمجة الطفل ، واكسير الغد العنيد

(جبل التوباد حيّاك الحيا)
(وسقى الله ثرانا الأجنبي !)

مرّت خيول الترك
مرّت خيول الشرك

مرّت خيول الملك — النسر ،
مرّت خيول التتر الباقيين

ونحن — جيلا بعد جيل — في ميادين المراهنة
نموت تحت الأحصنة !

وأنت في المذيع ، في جرائد التهوين
تستوقف الفارين

تغلب فيهم صائحا : « حطين » ..
وترتدى العقال تارة ،

وترتدى ملابس الفدائيين

وتشرب الشاي مع الجنود

في المعسكرات الحشنة

وترفع الراية ،

حتى تسترد المدن المرهنة
وتطلق النار على جوادك المسكين
حتى سقطت — أيها الزعيم
واغتالتك أيدي الكهنة !

(وطني لو شغلْتُ بالخلد عنه ..)
(نازعتني — لمجلس الأمن — نفسي !)

نَمْ يا صلاح الدين
نَمْ .. تتدلى فوق قبرك الورد ..
كالمظليين !

ونحن ساهرون في نافذة الحنين
نُقشّر التفاح بالسكين

ونسأل الله « القروض الحسنة » !
فاتحة :
آمين .

بكائية لصقر قريش

عَمَّ صباحاً .. أيها الصقرُ المُجنَّحُ
عم صباحاً ..
هل ترقبتَ كثيراً أن ترى الشمسَ
التي تغسلُ في ماء البحيراتِ الجراحا
ثم تلهو بكراتِ الخليج ،
تستلقى على التربة ،
نستلقي .. ونُلَفِّحُ !

هل ترقبتَ كثيراً أن ترى الشمسَ .. لتفرخَ
وتسدَّ الأفقَ للشرق جناحاً ؟
أنت ذا باقٍ على الراياتِ .. مصلوباً .. مباحاً

تصُرُّ الرِيحُ ؛ وأضلأُكَ كالروضِ المصنوخِ
تشهَى لذغةِ الشمسِ التي تنسج للدفءِ وشاحاً !

أنت ذا باقٍ على الراياتِ مصلوباً .. مباحاً
— « اسقني .. »

لا يرفع الجنْدُ سوى كوبِ دمٍ .. مازال يسفحُ !
— « اسقني .. »

— هاك الشرابَ النبويَّ ..

أشربُهُ عذبا وقراحا
مثلما يشربه الباكُونُ ..

والماشونَ في أنشودةِ الفقيرِ المسلَّحِ !

— « اسقني .. »

لا يرفع الجنْدُ سوى كوبِ دمٍ مازال يسفحُ !

بيننا « السادة » في بواية الصمتِ المملحِ

يتلقون الرياحا

يلفوها بأطرافِ العباءاتِ ..

يدقوا في ذراعيها المساميرَ ..

وتبقى أنت

(ما بين خيوط الوشي)

زرأ ذهبياً

يتأرجح !

وقف « الأغراب » في بوابة الصمت المملح

يشهرون الصلَفَ الأسودَ في الوجهِ سلاحا

ينقلون الأرضَ : أكياساً من الرمل .

وأكداساً من الظل

على ظهر الجواذِ العربيِّ المترنح !

ينقلون الأرضَ ..

نحو الناقلاتِ الراسياتِ — الآن — في البحرِ

التي تنوى الرواحا

دون أن تطلقَ في رأسِ الحصانِ

طلقةَ الرحمةِ ،

أو تمنحه بعضَ امتنان !

عِمْ صباحاً أيها الصقرُ المُجنَّح

عِمْ صباحاً .

سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .

فمتى يقبل موتى ..

قبل أن أصبح — مثل الصقر —

صقراً مستباحاً ؟!

قالت امرأة في المدينة

(١)

سيف جدى على حائط البيت .. يبكى :

وصورته في ثياب الركوب !

(٢)

قالت امرأة في المدينة

من ذلك الأموي الذي يتباكى على دم عثمان !

من قال إن الخيانة تنجب غير الخيانة ؟

كونوا له يا رجال ..

أم تحبون أن يتغيا أطفالكم تحت

سيف ابن هند ؟

... ..

ربما ردت الريح — سيدتي — نصف رد

ضاع .. وابتلعت الرمال !

نحن جيل الحروب ..

نحن جيل السباحة في الدم ..

ألقنا بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

(قبضات القلوب —

وحدها — حطمتها .. ومازال فيها الأسى والندوب ..)

نحن جيل الألم

لم نر القدس إلا تصاوير

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين ،

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا يا قلم

أننا لم ننم

أننا لم نقف بين « لا » و « نعم »

ما أقل الحروف التي يتألف منها اسمٌ ما ضاعَ من وطني
واسمٌ من مات من أجله

من أُنح أو حبيب !

هل عرفنا كتابةً أسمائنا بالمدادِ

على كتبِ الدرس ؟

ها قد عرفنا كتابةً أسمائنا

بالأظفارِ في غرفِ الحبسِ

أو بالدماء على جيفة الرمل والشمس ،

أو بالسواد على صفحات الجرائد قبل الأخيرة .

أو بمحدد الأرامل في ردهاتِ (المعاشات) ،

أو بالغبائر الذي يتوالى على الصورِ

المنزلية للشهداء

الغبائر الذي يتوالى على أوجه الشهداء ..

إلى أن .. تغيب !!

قالت امرأة في المدينة :

من يجرؤ الآن أن يخفضَ العلمَ القرمزي

الذي رفعته الجماجم ،

أو يبيعَ رغيفَ الدم الساخن المتخثر فوق الرمال .

أو يمدّ يداً للعظام التي ما استكانت
(وكانت رجال ..)

كي تكونَ قوائمٌ سائدةٌ للتواقيع

أو قلماً

أو عصا في المراسم ؟

... ..

لم يجيبها أحد ..

غيرُ سيفٍ قديم ..

وصورة جد !

إلى محمود حسن إسماعيل
في ذكره

واحد من جنودك يا سيدى .
قطعوا يوم مؤتة منى الديدن
فاحتضنت لواءك بالمرفقين
واحتسبت لوجهك مستشهدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر —
هل يصل الصوت ؟
(والريح مشدودة بالمسامير !)
هل يصل الصوت ؟
(والعصافير مرصودة بالنواطير !)

هل يصل الصوت ؟
أم يصل الموت ؟
قل لى ، فأنى أناديك
من زمن الشعراء — الأناشيد
للشعراء — السجاجيد
من زمن الشعراء — الصعاليك
للشعراء — المماليك .
أرسم دائرة بالطباشير
لا أتجاوزها !
كيف لى ؟ وأنا أتمزق ما بين رُحَيْن !
والقدمان معلقتان بفخين !
أعياننى الكُرُّ والفُرُّ
واجتازنى الخير والشرُّ
أيسر . تيسرُ ، حتى تعسرُ ، حتى تعثرُ .
أيمن . تيمُنُ ، حتى تيمُتُ ، حتى تيتُ .
أين المقرُّ ؟ وأين المقرُّ ؟
للخفافيش أسماؤها التى تتسمى بها !
فلمن تتسمى إذا انتسب النور !

والنور لا ينتمي الآن للشمس

فالشمس هالائها تتحلق فوق العقالات .

هل طلع البدر من يرب أم من الأحمدى ؟

وبانت سعاد .:

تراها تبين من البردة النبوية

أم من قلنسوة الكاهنين الحز ؟

واحد من جنودك يا سيدى

ألف بيت بيت ..

واحتوتك الكويث !

فعرفت بموتك أين غدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر — !

كل الأحبة يرتحلون

فترحل شيئاً فشيئاً من العين ألفة هذا الوطن

نتغرب في الأرض . نصبح أغربة في التآيين نعى

زهور البساتين

لا تزقف في صحيف اليوم إلا أمام المناوين

مرؤها دون أن يطرف الجفن .

سرعان ما نفتح الصفحات قبيل الأخيرة ،

ندخل فيها نجالس أحرفها ،

فتعود لنا ألفة الأصدقاء ، وذكرى الوجوه

تعود لنا الحيوة ، والدهشة العرضية

واللون ، والأمن ، والحزن .

هذا هو العالم المتبقى لنا : إنه الصمت

والذكريات ، السواد هو الأهل والبيت .

إن البياض الوحيد الذى نرتجيه

البياض الوحيد الذى نتوحد فيه :

بياض الكفن !

واحد من جنودك يا سيدى

خبزه خبز ضيق

ماؤه بل ريق

والممات بعينه كالمولد

واحد من جنودك يا سيدى

يركع الآن ينشد جوهرة تنخباً في الوحل

أو قمرأ في البحيرات ،

أو فرساً نافراً في الغمام .

ها هو الآن ، لا نهر يغسل فيه الجروح
وينهل من مائه شربة تمسك الروح
لا منزل لا مقام
فعلى الراحلين السلام
والسلام على من أقام .

« تدويل »

يضم هذا الديوان القصائد الأخوية التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ - ١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارع أربع سنوات . من أوائل سبتمبر ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٣ . ولم نجد لهذا الديوان عنواناً أكثر صدقاً من « أوراق الغرفة (٨) » ، فالديوان يتطوى على أوراق أمل الأخوية ، والغرفة رقم (٨) هي آخر الغرف التي قادم فيها أمل مرضه ، قرابة عام ونصف ، في الدور السابع من « المعهد القومي للأورام » ، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت ، الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣ .

و « الجنوى » هي الورقة الأولى في هذا الديوان ، ولكنها الورقة الأخوية في رحلة إبداع أمل دنقل ، فقد كتبت في فبراير ١٩٨٣ ، وتتطوى على رثيا النهاية التي اكتملت دائرياً ، بعد تأملات الغرفة (٨) عام ١٩٨٢ ، تلك التأملات التي صاغتها قصائد : « ضد من » ، و « زهور » (وكانت الكتابة النهائية لكتبتها في مايو ١٩٨٢) و « لعبة النهاية » (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و « السرير » (نوفمبر ١٩٨٢)

وهناك قصائد أخرى — في هذا الديوان تنتمي إلى تاريخ مقارب ، منها « الطيور » و « الخيول » ، وقد كتبت كلتاها عام ١٩٨١ ، ولكن أمل ظل يغير ويبدل فيها — كمعادته في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية ، وأقصى درجات التجانس البنائي — إلى أن أستقر على الصياغة الأخيرة للطيور في أكتوبر من العام الماضي ، والصياغة الأخيرة للخيول في أواخر ديسمبر من العام نفسه . وعلى العكس من هاتين القصيدتين ، مازالت قصيدته في التكرى الرابعة لعمود حسن إسماعيل — إبريل ١٩٨١ — تنتظر اللمسة الأخيرة ، ولم يملك سوى أن يستخلصها من آخر مسوداتها .

أما بقية قصائد هذا الديوان فترجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥ . لا تخفى هذه القصائد كل ما كتبه أمل دنقل في الرحلة السابقة على مرضه ، ولكنها كثر ما وجدته السيدة زوجته — عبلة الرويني — من قصائد هذه المرحلة إنساقا ، الدلالات الأساسية التي ينطوي عليها هذا الديوان .

قصائد متفرقة

إلى صديقة دمشقية

إذا سبائك قائد التار
وصريت محظية ...
فشد شعرا منك في سعار
وافترض عذرية ..
واغرورقت عينك الزرق السماوية
بدمعة كالصيف ، ماسية
وغبت في الأسوار ؛
فمن ترى يفتح عين الليل بابتسامة النهار ؟

° ° °

مازلت رغم الصمت والحصار
أذكر عينيك المضيئتين من خلف الحمار
وبسمة الثغر الطفولية ..
أذكر أمسياتنا القصيرة
ورحلة السفع الصباحية
حين التقينا نضرب الأشجار
ونقذف الأحجار
في مساء فسقيه !

• • •

قلت — ونحن نسدل الأستار
في شرفة البيت الأمامية :
لا تبتعد عني
أنظر الى عيني
هل تستحق دمعاً من أدمع الحزن ؟

ولم أجبك ، فالمباخر الشامية
والحب والتذكر
طفت على لحنى
لم تبق منى وهم ، أغنيه !
وقلت ، والصمت العميق تدقه الأمطار
على الشوارع الجليدية :
عدت إليك .. بعد طول التيه في البحار
أدفن حزني في عمير الخصلات الكستنائية
أسير في جناتك الخضراء الربيعية
أبل ريق الشوق من غدراها ،
أغسل عن وجهي الغبار !!
نافحت عنك قائد التار
رشقت في جواده .. مدية
لكنتي خشيت أن تمسك الأخطار
حين استحالت في الدجى الرؤية
لذا استطاع في سحابة من الغبار
أن يخطف العذراء .. تاركاً على يدي الأزار

كالوهم ، كالفريه !

... ..

(.. مابالنا نستذكر الماضي ، دعى الاظفار ..
لا تنبش الموتى ، تعرى حرمة الأسرار ..)

• • •

ياكم تمت زمرة الأشرار

لو مزقوا تنورة في الخصر .. بنية

لو علموك العزف في القيثار

لتطريهم كل أم

حتى اذا انقضت أغانيك البمشقية

تناهبوك ؛ القادة الأقزام .. والإنصار

ثم رموك للجنود الانكشارية

يقضون من شبابك الاوطار !

• • •

الآن .. مهما يقرع الاعصار

نوافذ البيت الزجاجية ،

لن ينطفئ في الموقد المكدود رقص النار

تستدق الأيدي على وهج العناق الحار

كبي تولد الشمس التي نختار

في وحشة الليل الشتائية !

أيلول ١٩٦٦

وظلت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
وظلت الشفاه تلعق الدماء !

عشاء

قصصتهم في موعد العشاء
تطلعوا لي برهة ،
ولم يرد واحد منهم تحية المساء !
... وعادت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
في طبق الحساء
... ..
نظرت في الوعاء :
هتفت : « ويحكم .. دمي
هذا دمي .. فانتبهوا »
.. لم يأبهوا !

لكننى ..

حين استقرت عينه على :

أدرت رأسى عنه ..

لم أقف على بريق عينيه الخفيف !

• • •

وحينا تحملنى وأصدقائى فى الطريق .. موجة المرح
ونسترد روحنا فى الضحكات والفناء .

أبصره .. فى الجانب الآخر . يرنو مستخفاً ، باسمه
فإن تجاوزناه .. ألقى عقب سيجارته على الطوار
وداسه مغمغماً ..

ثم اختفى ..

كأنه شبح !

وفى طريق العودة الليلى .. ألفاء
يخرج من جوف الظلام فجأة .. على غير انتظار .
كأن باباً — فى الشتاء — مغلقاً .. قد انفتح
كأن تياراً من الهواء

البطاقة السوداء

« إلى أنور المعداوى »

أراه من نوافذ المترو .. على محطات الوقوف
مستنداً بكتفه اليسرى إلى الجدار
يدبر فى أصبعه سلسلة

فضية الأطار

يرقب — باسم — تراحم المناكب القصير

تمسح عيناه زجاج النافذات الأبيض الشفيف ..
كأنه يبحث عن أحد .

كأنه يرقب من شرفته ،

هرولة السارين فى تساقط الأمطار والبرد !

يكنس من أعصاى الدفء .. وينساه !

.. يمر لى ، مدثرا بالمعطف الثقيل ،

هاديء الخطى ،

تلمع فى الظلام عيناه

يسأل — هامسا — عن الوقت بلا اكتراث
ويختفى ..

كأن احدى الشجرات احتضنته ..

صيرته بعض ظلها الكثيف !

وفى سويعات الضحى المشتمسة المعتدلة

حين تنقر العصافير ثمار التوت ،

مستدفئة من لذعة الخريف

أجلس فى المائدة المنعزلة ..

محدثا صديقتى ..

فى ذلك المقهى الريمى الأليف

— حيث يمر النيل راغيا مغنيا

ويرفع الصباح راية الفرح —

مرتشفين من عصير الكلمات .. والنار

معتنقين فى ضمائر الحروف ..

وفجأة ..

يسقط من يدى القدح !

ألحه مددا ساقيه فى المائدة المقابلة

يرمقنى من خلف نظارته السوداء خفية ،

نجبا بسمته خلف صحيفة الصباح .. المهمة !

° ° °

وعندما دخلت « بارادى » فى اليوم الاخير

رأيت .. يخترق المقاعد الملقاة .. والأضواء

ويفتح الصنبور

مشعث الشعر ، يضح قلبه بالرعب واللاهث

.. تساقطت — قبل اغتساله — على الحوض النقى بقعة

لكنه لم يكثرث !

رجل فى المرأة شعره الغزير

ثم دنا من جمع اصدقائى الصغير

قلبا عينين ثعلبيتين في الوجوه ، صامتا
وفجأة ..

ألقى لنا ورقة دون اكتراث
ودون أن يلتفتا ؛

مضى الى الخارج ..

تاركا على المنضدة الحيزى ببطاقته
.. كانت بطاقة سوداء ..

... ..

.. ومات في المساء !

لا أبكيه

مصر لا تبدأ من مصر القرية انها تبدأ من أحجار طيبة ،

انها تبدأ منذ انطبعت
ثوبها الأخضر لايل ، اذا
انها ليست عصورا فهي الكل
أرضها لا تعرف الموت فما الموت
حولها الرقص وأعياد الخصوبة .
تعب القطرة في النيل فمن
فاذا البحر طواما ، نفرت
وأعاد الماء للنيل هروبه
فسقى النيل به — ثانية —
قدم الماء على الأرض الجديدة .
خلعته .. رفعت الشمس ثقبه .
في الواحد ، في الذات الرحبية .
أخرى .. قرية .
وأسترد الماء في الوادى دروبه .
وأسترد الماء في مصر العذوبة .
ظما البحر اذا ما مد كوبه !

هكذا شعبك بامصر ! له
 مات فيه الموت يوما .. فابتنى
 أبدا بينى وبأق غيرة
 فاذا راح أبتنى ثم ابتنى
 وكان الذل في الشعب ضريبة
 وكان الدم نيل آخر
 كل أبنائك بامصر مضوا
 الذى لم يقض في الحرب قضى
 والذى لم يقض في الفأس قضى
 اسمعى في الليل أنات الاسبى
 انها اسماء من ماتوا .. ولم
 سيعودون ، فلا تبكى ، فما
 أترى تبكين من مات .. لكى
 والذى مات لكى ينفس في
 ولكى يحتضن الطفل حقيقة
 ولكى يهوى حجاب الخوف عن

دوره الماء وغواه الرطبة
 هرما للموت يستجلى غيوبة
 ناشرا فيه أساه وحروبه
 فانثنى الغازى اليه بالعقوبة !
 وأبتسام الصبر قد صار ذنوبه
 تستقى منه الرمال المستطية
 شهداء الغد في نيل وطية
 وهو يعطى الفأس والغرس وجيهه
 حاملا أحجار اسوان الرهية
 اسمعى حزن المواويل الكمية
 يرحوا القلب فقد صاروا ندوبة
 يرتضى المحبوب ان تبكى الحية
 تستعيدى راية الفكر السلية
 كل قلب ناشئ حرف العروبة
 ولكى تقفات بالعلم الشبية
 روح ربات الحجال المسترية

ولكى يرفع سيف العدل في
 والذى لولاه مامرت لنا
 اترى تبكين بامصر ؟ أنسا
 شرف الأبناء أن يمضى أب
 شرف للأب أن يمضى فلا
 انما يبكى ضعاف الناس ان
 وجه ابناء الممالك الغريبة
 — في عبور النار للحرب — كتيبة
 لست أبكيه وان كنت ربيبه
 بعد أن قدم للمجد نصيبة
 تعترى أبناءه الروح الزغيبه
 عجزوا ان يدركوا حجم المصيبة

م ١٩٧٣

العراف الأعمى

قولى من أين ؟

الصمت صفدا ..

والكلمات بلا عينين !

... ..

للمنى الليل .. وأدخلنى السرداب

(قدماى نسيتهما عند الاعتاب

ويداى تركتهما فوق الأبواب)

انك لا تدريين

معنى ان يمشى الانسان .. ويمشى ..

(بحثا عن انسان آخر)

حتى تتآكل فى قدميه الأرض ،

وينوى من شفثيه القول !

الآف الواجه فى وجهى ..

لكنك لا تدريين

أى وجوه تتدلى منها بسمات الزيف

ضائعة المعنى ، متأكلة الانف

... ..

أرشق فى الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملقاة

أُتَجَرَأُ فى المرآة

يصفغنى وجهى المتخفى بقناع الذل

أصفغه .. أصفع هذا الظل

تحل الناس يفارقهم ظلهم عند الليل

الا ظلى

ينسل معى ، يتمدد فوق وسادى المبطل !

البسمة حلم

والشمس هى الدينار الزائف

فى طبق اليوم

من يمسخ عنى عرق فى هذا اليوم الصائف ؟

والظل الخائف

يتمدد من تحتي ، يفصل بين الأرض .. وبينى !

... ..

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف :

(حاء .. باء ..)

(حاء .. راء .. ياء .. هاء)

الحرف السيف

مازلت أرود بلاد اللون الداكن

أبحث عنه بين الأحياء الموق .. والموق الأحياء

حتى يرتد النبض الى القلب الساكن

لكن .. !!

... ..

وأخيرا عدت

أحمل في صدري صمت الطاعة

وبلا .. ساعة

ماجدوى الساعة في قوم قد فقدوا الوقت ؟

ورجعت بدون كتاب غير كتاب الموت ،

وضجيج الناس

أغنية .. كقطيطة نعاس :

« لم تولد لنهر الدنيا »

« لم نخلق لنخوض معارك ! »

« نحن ولدنا ..

للالهام ..

للأحلام ..

للصلوات .. »

...

ضميني في صدرك .. حتى اتبأ

وأنا لا أكتب .. أو أقرأ !!

نَجْمَةُ السَّرَاب

صديقتى شدت على يدي ..
وقالت : لن أزورَ غُرْفَتَكَ
إن شئت .. فلتبقىَ معاً إلى الابد .
ولم أردْ
لأن ثوب العرس — في معارض الأزياء —
نجمة تدور في سراب .
ولم أزل أدقُ باباً بعد باب
وخطوتى تهيدة ، وأعيني ضباب
حتي بلغتَ غرفتي في آخر المطاف
وقطنتي تلذذ ...
مواؤها : عذاب أنثى ليلة الخناض

أنثى وحيدة .. تلذذ .
... وأخلدَ الجيرانُ للسُّكون :
وقطعُهم يجلسُ — في الشباك — ناعس العيون
يلعقُ في فرائه المنقط البياضُ
يلعقُ — عن فرائه — عذابَ قطتى الممتد
.. سعت اليه ذات ليلة ،
ولم تسلهُ ثوباً للزفاف !
لأن ثوب العرس
— في معارض الأزياء —
نجمة تدور في سراب !!

أيدوم النهر

أيدوم لنا بستان الزهر
والبيت الهاديء عند النهر
ان يسقط خاتمنا في الماء
ويضيع .. يضيع مع التيار
وتفرقنا الأيدي السوداء ..
ونسير على طرقات النار ..
لا نجرؤ تحت سياط القهر
ان نلقى النظرة خلف الزهر
ويغيب النهر .

أيدوم لنا البيت المرح
نتخاصم فيه ونصطليح
دقات الساعة والمجهول
تتباعد عني حين اراك
وأقول لزهر الصيف .. اقول
لو ينمو الورد بلا اشواك
ويظل البدر طوال الدهر
لا يكبر عن منتصف الشهر
آه يا زهر ..

لو دمت لنا ..
أو دام النهر .

مقدمة بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح ٥

مقتل القمر ٤٣ .

الاهداء ٤٥ .

براءة ٤٧ .

طفلتها ٥٠ .

المطر ٥٧ .

قلبي والعيون الخضراء ٦٠ .

يا وجهها ٦٥ .

مقتل القمر ٦٨ .

شيء يحترق ٧٢ .

قالت ٧٥ .

ماريا ٧٧ .

استريجي ٨٢ .

العار الذي نتقيه ٨٥ .

رسالة من الشمال ٨٧ .

١٤٩	الموت في لوحات
١٥٣	بطاقة كانت هنا
١٥٧	ظماً .. ظماً
١٦١	الحزن لا يعرف القراءة
١٦٤	بكائية الليل والظهيره
١٦٩	اشياء تحدث في الليل
١٧٢	العشاء الاخير
١٨٠	حديث خاص مع ابي موسى الاشعري
١٨٦	من مذكرات المتنبى
١٩١	تعليق على ما حدث
١٩٣	في انتظار السيف !
١٩٧	فقرات من كتاب الموت
٢٠١	الحداد يليق بقطر الندى
٢٠٥	صفحات من كتاب الصيف والشتاء
٢١٠	تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات
٢١٣	ميتة عصرية

٩٢	اوتوجراف
٩٤	شبيبتها
٩٧	العينان الخضراوان
	Petit Terianor
٩٩	الملهى الصغير
١٠٥	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٠٧	ديباجة
١٠٨	بكائية ليلية
١١٠	كلمات سبارتكوس الاخيرة
١١٧	الأرض .. والجرح الذي لا يفتح
١٢١	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٢٧	ايلول
١٣١	السويس
١٣٥	يوميات كهل صغير السن
١٤٣	اجازة فوق شاطئ البحر
١٤٦	موت مغنية مغمورة

أقوال جديدة غن سرب البسوس ٣٢١...

مقتل كليب ٣٢٣.....

لا تصالح ٣٢٤.....

أقوال اليمامة ٣٣٧.....

مراثي اليمامة ٣٤١.....

أشارات تاريخية ٣٤٩.....

تذييل ٣٥٤.....

أوراق الغرفة (٨) ٣٥٧.....

الورقة الأخيرة الجنوبي ٣٦٠.....

ضد من ٣٦٨.....

زهور ٣٧٠.....

السري ٣٧٢.....

لعبة النهاية ٣٧٥.....

ديسمبر ٣٧٨.....

الطيور ٣٨٣.....

الوقوف على قدم واحدة ٢١٨.....

رباب ٢٢١.....

حكاية المدينة الفضية ٢٢٣.....

الضحك في دقيقة الحداد ٢٤١.....

الموت .. في الفراش ٢٤٨.....

لا وقت للبكاء ٢٥٥.....

العهد الآتي ٢٦١.....

صلاة ٢٦٥.....

سفر التكوين ٢٦٧.....

سفر الخروج ٢٧٤.....

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس ٢٨١.....

سفر الف دال ٢٨٦.....

مزامير ٢٩٨.....

من أوراق ابونواس ٣٠٨.....

رسوم في هو عربي ٣١٥.....

خاتمة ٣١٨.....

٣٨٧	الخيلول
٣٩٣	مقابلة خاصة مع ابن نوح
٣٩٧	خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين
٤٠٠	بكاية لصقر قریش
٤٠٤	قالت امرأة في المدينة
٤٠٨	الى محمود حسن اسماعيل في ذكره
٤١٣	تذييل
٤١٥	قصائد متفرقة
٤١٧	الى صديقة دمشق
٤٢٢	عشاء
٤٢٤	البطاقة السوداء
٤٢٩	لا أبكيه
٤٣٢	العراف الاعمى
٤٣٦	نجمة السراب
٤٣٨	ايوم النهر